ابو العتاهية بين القديم والجديد

بقلم لطفية الشهابي

* * *

حين نكتب دراسة او نجري بحثا تحت هذا العنوان لا بد ان نكون قد سلمنا مقدما بأن هناك قديما وجديدا في الشعر العربي . وغني عن البيان ان مسألة القدم والجدة مسألة نسبية ، فالذي نسميه جديدا عند ابي العتاهية انما هو قديم بالنسبة الينا . وذلك الجزء من التجديد الذي طرأ على الشعر العربي على يدي جميل بثينه وعمر بن ابي ربيعة واضرابهما كان قديما عند ابي العتاهية . وهكذا فكل جديد صائر الى القدم .

ونحن انما نتجه الى دراسة ابي العتاهية بين القديم الذي هو الشعر الجاهلي والاسلامي وما بعده بقليل ، والجديد الذي عاشه ابو العتاهية واقرانه وابدعوا فيه وابتكروا ، ان استطعنا ان نجد في شعرهم ابداعا وابتكارا .

وقبل ان اتحدث عن قديم الشاعر وجديده علي ان احدد النواحي التي تناولها هذا التجديد ، والمواضع التي كان يمكن ان يظهر فيها القديم اذا لم يظهر . وتلك هي : (اغراض الشعر — صوره ومعانيه والفاظه — اوزانه — هيكل القصيدة العربية العام) ومن المفيد ايضا ان اقدم لمحة موجزة عن تطور تلك القصيدة منذ صدر الاسلام حتى عصر الشاعر فأقول :

ان القصيدة العربية في صدر الاسلام لم ينلها من التغيير الا الشيء اليسير من حيث المعاني والالفاظ الاسلامية التي دخلتها . ذلك هو الشكل العام الذي لوحظ في التجديد الشعري ، ولكننا نلمس بعض الومضات القليلة من التجديد عند حميد بن ثور في قصائده ذات الاسلوب القصصي الذي يعد امتدادا وتطويرا لما اورده لنا امرؤ القيس من قصص مغامراته الجريئة .

ولم يكد الصدر الاول من الحياة الاسلامية ينقضي حتى جاء العهد الاموي وجاء الشعراء العذريون وعلى رأسهم جميل الذي وحد الغرض في سائر اشعاره تقريبا ، فلم يقل شعرا الا في الغزل وفي صاحبته بثينة بصورة خاصة . ثم كان هناك شعراء الفئة الاخرى التي تزعمها عمر بن ابي ربيعة ، وكاد يخلط في شعره القديم بالجديد ، فاستخدم حينا الاوزان الخفيفة ، وكان تارة يصدر قصيدته بالوقوف على الاطلال وتارة يترك لنا وصف ناقته الى آخر القصيدة كما فعل في رائيته المشهورة :

امن آل نعم انت غاد فمبكر غداة غد ام رائح فمهجر

واذا وجدنا جميل بن معمر يوحد الغرض في غالبية اشعاره ان لم نقل في كلها ، فذلك ربما عددناه جديدا لان احدا من الشعراء الجاهليين لم يسبق له ان قصر شعره على الغزل وحده . وقد نعده قديما الى حد ما ، ذلك ان هنالك شعراء جاهليين قد اكتفوا بغرض واحد في اشعارهم، او كادوا ، كما فعلت الخنساء واضرابها من اصحاب المراثي الذين صنفهم ابن سلام الجمحي في طبقاته تصنيفا منفردا . وكأنه راى انهم لا يمكن ان يوازوا طبقة الفحول بسبب اقتصارهم في اشعارهم على غرض واحد .

اما ما عدا تلك الملاحظات الموجزة فقل ان نجد خروجا على القديم . اذ ان الشكل التقليدي للقصيدة العربية بقي على حاله ولم ينله اي تغيير في الموضوعات ولا في الاوزان او سواها . ولم تظهر الاوزان الخفيفة على نطاق واسع الا في العصر العباسي .

واذا راينا بعض القصائد الاسلامية خالية من ذكر الاطلال فذلك لا يمكن ان نعتبره من الجدة في شيء . اذ انني اعتقد انه حتى في العصر الجاهلي كانت هنالك قصائد ليس فيها تلك المقدمات ، وذلك حين يكون الشاعر غير متمهل في انتاجه ، كما فعل النابغة في قصيدة (وادي اقر) حين ابتدأ ابياته قائلا :

لقد نهيت بني ذبيان عن أمر وعن تربعهم في كل اصفار

اما ان كانت تلك المقدمات قد فقدت من القصائد او نسيت فذلك امر آخر .

واذا وصلنا الى ابي العتاهية وذهبنا نتقصى القديم والجديد في اغراضه الشعرية لاحظنا في الحال انه قد ابتكر في الشعر العربي موضوعا جديدا ، وغرضا قصر عليه غالبية اشعاره . ولعمري ان مثل هذا الغرض لم يكن المجتمع الاسلامي الاول بحاجة اليه قبل العصر العباسي . وان ما بلغه كبراء ذلك العصر ووجهاؤه من غنى وترف دفع برجل بائع جرار ذي موهبة شعرية فذة الى ان يبتكر مثل هذا الغرض ، او يكثر القول فيه ان كانت له جذور سابقة . ذلك ان الحياة العربية الاسلامية قبل العصر العباسي لم تكن تستدعي شيئا من هذا الزهد ولا من ذاك التصوف . فالصحابة انفسهم لم يكن بينهم الزاهد المتصوف العازف عن الدنيا ، وانما كان منهجهم : (اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) .

والاسلام ذاته لم يحض على الزهد فضلا عن ان نفسية العربي بطبيعتها بعيدة كل البعد عن هذا اللون من التصوف . ولذا فربما كان لاصل شاعرنا الاعجمي اثر في هذه النزعة ايضا . وانني حين اعالج هذه الناحية اعالجها من حيث هي مبدأ دعا اليه ابو العتاهية في سائر زهدياته ولا يهمني ان كان طبقه على نفسه او لم يطبقه . فذلك

امـر يتعلق بدراسة شخص الشاعر ومذهبه الدينـي والفلسفي وهو ما لم اقصد اليه .

لذا اعود لاقول ان ديوان شاعرنا قد امتلأ بالدعوة الى الزهد والتفكر في مصير هـذا الانسان الصائر الى الزوال والهلاك ، مهما طال به الامد وامتد امامه طريق الحياة . الا ان ذلك الغرض الذي ملأ على الشاعر اقطار نفسه لم يكن ليمنعه من ان يقول شعرا في المديح — وان كان قليلا — سواء اراد التعبير الحقيقي عن مشاعره ام كانت غايته التكسب والعطاء .

ولقد مدح ابو العتاهية الخلفاء العباسيين . وتقول اخباره انه كان مقدما ومفضلا عند الرشيد . وان ابن الاعرابي شهد لـه بتقدمه في المديح امام بعض الادباء وقال : اوليس ابو العتاهية الذي يقول في مديح الرشيد :

جرى لك من هارون بالسعد طائره　　امام اعتزاز لا تخاف بوادره
هو الملك المجبول نفسا على التقى　　مسلمة من كل سوء عساكره
اذا نكب الاسلام يوما بنكبة　　فهارون من بين البرية ثائره

ومن مدائحه ايضا الابيات التي مدح بها الخليفة المهدي ومنها :

اتته الخلافة منقادة　　اليه تجرر اذيالها
ولم تك تصلح الا له　　ولم يك يصلح الا لها
ولو لم تطعه بنات القلوب　　لما قبل الله اعمالها

ويروى ان بشارا كان حاضرا مجلس المهدي حين قالها ابو العتاهية وانه أعجب بها كثيرا .

ومهما يكن من امر المديح عنده فلا بد ان نحس بقلته نسبيا وكذلك شأن بقية الاغراض المعروفة من هجاء ورثاء وعتاب . .وغير ذلك اذ لا تتجاوز اشعاره فيها جزءا بسيطا من ديوانه بينما يشغل الزهد القسم الاكبر منه . وهذا يخالف ديوان ابي نواس مثلا ، حيث تتعدد اغراض الشعر فيه وتتشعب .

وظل الزهد طاغيا على لسان الشاعر يوجهه في كل مناسبة حتى مكنه من ان يحول شعر الاطلال الى شعر في ذكر القبور والاجداث . فبينما كان الشاعر الجاهلي يذكر لنا في موقفه المؤثر رحيل القوم والآثار التي دلت عليهم من نؤي وأوار واثاف سفح ، ويذكر لنا الطير والوحش التي سكنت تلك الديار بعدهم جاء ابو العتاهية يصف دوائر الزمان ويقول :

اين القرون الماضية　　تركوا المنازل خالية
فاستبدلت بهم ديا　　رهم الرياح الهاوية
وتشتتت عنها الجمو　　ع وفارقتها الفاشية
درجوا فما ابقت صرو　　ف الدهر منهم باقية
فلئن عقلت لتبكين　　هم بعين باكية
لم يبق منهم بعدهم　　الا العظام البالية

فابو العتاهية يقف مع ابي نواس على طرفي نقيض من حيث تجديد الشاعرين في اغراض الشعر بصورة خاصة ، ذلك ان الاول تناول تجديده الزهد والتصوف والوعظ ، واما الثاني فقد جدد في اللهو والمجون والطرب والخمرة . واذن فان فكرتنا ستظل ثابتة بأن ابا العتاهية جدد في اغراض الشعر العربي اذ اوجد فكرة الزهديات ووضعها امام فيلسوفنا ابي العلاء لكي يفلسفها — كما يقولون — ويخرجها واضحة في شعره وفي نموذج الحياة التي عاشها مع الابقاء على ملاحظة الفوارق البعيدة بين الشاعرين .

واذا حاولنا البحث عن تجديد ابي العتاهية في معاني الشعر العربي فليس من حقنا ان نولي عنايتنا لما قاله في المديح والرثاء والهجاء وما الى ذلك لان تلك الاغراض لم تشغل من وقته الا يسيرا . وحين يروقنا جمال المعنى وجدة الصورة وقربها في قوله :

اتته الخلافة منقادة　　اليه تجرر اذيالها

فاننا نذكر ان البيت لا يزيد عن كونه وليد لمحة خيالية عابرة مرت في ذهن الشاعر فصاغها لنا الفاظا بسيطة موزونة حفظت حتى عصرنا هذا . ولا نكاد نجد في مدائحه ما تعودنا رؤيته وسماعه من صور بلاغية مختلفة يوردها الشعراء بقصد وبدون قصد ، وذلك لان التصوير كان قليلا في سائر اغراضه الشعرية بالنسبة الى غيره .

اما المكان الذي يجب ان نتلمس فيه جدة المعاني فانه الزهديات فقط لانها الغالبة على ديوانه . واظن اننا لن نرى تلك المعاني جديدة على الاذهان .. وانما هي جديدة على الشعر فقط . فأنا لا اعتقد ان قول الرسول الكريم : (دع ما يريبك الى ما لا يريبك) قد صاغه احد في لفظ شعري قبل ابي العتاهية حين قال :

ودع ما يريبك لا تأته　　وجزه الى كل ما لا يريب

فهذا الحديث معروف متداول ولكن شاعرنا تأثر بما فيه من معنى فعبر عنه بألفاظه ذاتها مع شيء من التقديم والتأخير لكي يستقيم الوزن .

واني لأجد زهديات ابي العتاهية تعج بمعنى او معان خاصة مكررة ربما كانت جديدة في عالم الشعر . فهو يلح على تذكير سامعه وقارئه بأن كثيرا ممن كانوا بيننا وكانوا من اعز الناس الينا قد طواهم الموت وابتلعتهم الارض :

ألا كل ما هو آت قريب　　وللارض من كل حي نصيب
وللناس حب لطول البقا　　ء فيها وللموت فيهم دبيب
وكم من اناس رأيناهم　　تفانوا فلم يبق منهم عريب
وصاروا الى حفرة تحتوي　　ويسلم فيها الحبيب الحبيب

وهو لا يبعد في معانيه كثيرا بل يدور فيها حول فكرة معينة ، وهي تنبيه الانسان الى انه صائر الى الفناء وذلك نحو قولـه :

ألا كل مولود فللموت يولد　　ولست ارى حيا لشيء يخلد

تجرد من الدنيا فانك انما　　سقطت الى الدنيا وانت مجرد

وشبح الموت لا يكاد يفارق ذهنه كما هو واضح ولذا فانه يكرر هذا المعنى كثيرا :

الموت لا والدا يبقي ولا ولدا　　ولا صغيرا ولا شيخا ولا احدا
للموت فينا سهام غير مخطئة　　من فاته اليوم سهم لم يفته غدا

فهذا تشخيص جميل للموت جعل له سهاما صائبة ان عاجلا وان آجلا . ثم هو يدعو دعوة صريحة الى الزهد فيقول :

ما ضر من عرف الدنيا وغرتها　　ألا ينافس فيها اهلها ابدا

وكأنه يحاول ان يبقى شكل القبر ماثلا في شعره لكي يدعو الانسان الى التخفيف من ذلك الغرور الذي يسيطر عليه في حياته الدنيا :

انسيت القبور اذ انت فيها　　انسيت الفراق للاولاد

ويجعل الانسان في قبره قبل ان يموت وذلك لادخال الرهبة عليه واشعاره بالوحشة والفزع ثم يصور طمع الانسان واقباله على الدنيا في ابيات قليلة مؤثرة :

تمسكت بآمال　　طوال بعد آمال
واقبلت على الدنيا　　بعزم اي اقبال
فيا هذا تجهز　　لفراق الاهل والمال

وفي هذا يقول مصعب بن عبدالله : ابو العتاهية اشعر الناس ذلك لان هذا الكلام (سهل حق ، لا حشو فيه ولا نقصان . يعرفه العاقل ويقر به الجاهل) .

ولو ذهبت ابحث طويلا في شعر هذا الزاهد عن امثال تلك الابيات لضاق المقام عن سرد ما اجده ، ولكنني اكتفي بهذا القدر ، ويمكنني ان اقول بعد ذلك ان ابا العتاهية في غالب الامر لم يكن ليأتي بمعان جديدة لا يعرفها الناس كما سبق ان اوضحت ، وذلك لان معانيه قد اغترفت من البيئة التي عاش فيها والمجتمع الذي تقلب بين ارجائه . ولكن تفرده في الزهد كان جديدا على الشعر العربي الذي لم يسبق لاحد من شعرائه ان جعل الزهد غرضا اساسيا بين اغراضه الشعرية فضلا عن ان يفرد له ديوانا كاملا . ولذا فان كثيرا من المعاني الزهدية لم تأت في شعر شاعر كما اتت في ديوان ابي العتاهية .

قلت في اول حديثي عن المعاني بأن الصورة كانت قليلة عند ابي العتاهية ، هذا بينما كان الشاعر الجاهلي يجعل التشبيه دعامته الاساسية في التعبير ، وكان التشبيه عنده جميلا دقيقا تبدو عليه علائم المهارة في الصنعة وفي ابراز الصورة وتوضيحها . فهذا امرؤ القيس يقول :

نظرت اليها والنجوم كانها　　مصابيح رهبان تشب لقفال

ويقول :

مكر مفر مقبل مدبر معا　　كجلمود صخر حطه السيل من عل

ويقول ذو الرمة :

ودوية مثل السماء اعتنقتها　　وقد صبغ الليل الحصى بسواد

كما استخدم القدماء ايضا المجاز والتشبيه القصصي المطول .

اما ابو العتاهية فقد خالف الشعراء الذين سبقوه والذين عاصروه ، اذ قلت لديه عناصر الصورة وتضاءلت وان لم تفقد تماما . رأى مرة القبور فتخيل قبره بينها وقال :

وعظتك اجداث صمت　　ونعتك السنة خفت
وتكلمت عن اوجه　　تبلى وعن صور سبت
وأرتك قبرك في القبو　　ر وأنت حي لم تمت

فتلك ابيات جعلتنا نقف امام القبور ونسمع الاجداث تعظنا من غير ان يستعين الشاعر فيها بأي وسيلة من وسائل ايراد الصورة . وليس هذا دابه دائما لانه ربما اورد لنا الصور المتحركة في شعره كما في قوله :

يضطرب الخوف والرجاء اذا　　حرك موسى القضيب او فكر

الا انه ما كان ليعمد الى شيء من هذا القبيل عمدا ، وانما يتركه للطبع والسليقة فقط دون ان يعاني اي جهد في ذلك السبيل . فهو اذا قال : (احمد الله على كل حال) لن يتبادر الى ذهن احد انه اراد شعرا ولكنه كما يروى عنه لو اراد ان يصوغ كلامه كله شعرا لفعل . واذا فلنستمع بعد ذلك الحمد الذي اطلقه الى شعره المرسل السهل الذي يتضمن شيئا من التشبيه :

احمد الله على كل حال　　انما الدنيا كفيء الظلال
انما الدنيا مناخ كركب　　يسرع الحث بشد الرحال

ونحس بأن تشبيهات ابي العتاهية لم تكن تخرج عن مستوى الكلام العامي العادي الذي يتناقله الناس فيما بينهم . فهو حين يقول :

ما نحن الا كركب ضمه سفر　　يوما الى ظل فيء ثمة افترقوا

لا يكاد يخرج عما قاله كل فرد من الناس منذ ان لاحظوا انه لا بقاء لاحد في هذا الوجود ولا استمرار لحياة اي انسان . ولكنه مع هذا كله يأتي بأشياء جميلة توقظ الاحساس وتنبه الشعور كما في قوله :

وبخت غيرك بالعمى فافدته　　بصرا وانت محسن لعماكا
كفتيلة المصباح تحرق نفسها　　وتنير واقدها وانت كذاكا

وكذلك حين يقول :

الباطل الدهر يلفى لا ضياء له　　والحق ابلج فيه النور يأتلق
متى يضيق حريص دائب ابدا　　والحرص داء له تحت الحشا قلق
يا من بنى القصر في الدنيا وشيده　　اسست قصرك حيث السيل والغرق
لا تغفلن فان الدار فانية　　وشربها غصص أو صفوها رنق
والموت حوض كريه انت وارده　　فانظر لنفسك قبل الموت يا مذق
يبلى الشباب ويفني الشيب نضرته　　كما تساقط عن عيدانها الورق

الا نرى ان هذه الابيات رائعة جدا وجميلة حقا : فذلك هو الباطل مظلم قاتم ، وهذا هو الحق يتلألأ في ارجائه النور ، ولكن الحريص سادر ساه لان داء الحرص قد تغلغل تحت احشائه . ثم نصل الى روعة المشهد وتأثيره انها قصور الدنيا الزائلة ، قصور بنيت حيث السيل

والفرق .. ثم نلتفت الى البيت الاخير لنرى الشباب يزول ويأفل كما تتساقط الاوراق عن اشجارها . انها لوحة فنية رائعة اوردها الشاعر بأسلوبه السهل المنطلق فكانت لديه السهولة الممتنعة حقا .

تلك هي لمحات موجزة عن الصورة عند ابي العتاهية كما انتزعها من واقع الحياة وعكس بواسطتها خياله وما كان يحسه .

اما الالفاظ ، فكلنا يعرف كيف كانت الفاظ الشعر قديما قوية جزلة مختارة منذ الجاهلية وصدر الاسلام حتى العصر العباسي . واذا كان بشار قد مال الى سهولة اللفظ في بعض اشعاره الغزلية كما في قوله :

وكـــان رجـــع حديثهـــا   قطـع الريـاض كسـين زهـرا
وكـــان تحـــت لسانهـــا   هـــارون ينفـث فيـــه سحـرا

فانه ما كان ليخرج عن سنة الاقدمين في مدائحه التي يتقرب فيها الى الخلفاء والامراء ، وكذلك في غالبية اشعاره . فها هوذا يهجو العباس بن محمد :

ظل اليسار على العباس ممدود   وقلبـه ابـدا بالبخـل معقـود
ان الكريـم ليخفى عنـك عسرته   حتـى تـراه غنيـا وهـو مجهود

ويقول في وصف معركة :

كـأن مثار النقع فـوق رؤوسنا   واسيافنـا ليـل تهـاوى كواكبه

ومثل هذه الجزالة التي صادفناها عند بشار بكثرة والتي نصادفها ايضا عند ابي نواس الى حد كبير ، يقل وقوعنا على نظائرها لدى ابي العتاهية ، اذ كان غالبا يميل الى سهولة اللفظ ، بل الى عاميته ، وقل ان تأتي قصائده مختارة الالفاظ . حتى لكأنه يبسط شعره للعامة لكي يقراه هؤلاء ويتداولوه . وكأني به لا يجهد نفسه مطلقا في قول الشعر وانما تأتيه الافكار فيصوغها بقوالب بسيطة والفاظ سهلة يفهمها كل احد ، وان كان ذلك ليس مضطردا دائما . فهذا ابو علي القالي صاحب « الامالي » يروي لابي العتاهية ابياتا في الزهد يظهر عليها الجمال والجزالة الى حد غير قليل ، ويقال انه شوهد واقفا في طرف المقابر وهو ينشد :

ننافس فى الدنيا ونحـن نصيبها   وقـد حذرتناها لعمري خطوبهـا
ومـا نحسب الايام تنقص مـدة   بلـى انهـا فينـا سريع دبيبها
كانـى برهطـي يحملون جنازتـى   الـى حفـرة يمشي علـى كتيبها
فكـم تـم مـن مسترجع متوجع   ونائحـة يعلـو علـي نحيبهـا
وباكيـة تبكـي علـى واننـى   لفى غفلة عن صوتها ما اجيبها

ولقد رأينا شيئا من قصيدته التي مدح بها الرشيد والتي مطلعها : (جرى لك من هارون بالسعد طائر) ، والجزالة واضحة في هذه القصيدة ايضا حتى انها لتحكي اسلوب البحتري المتأخر عن زمن شاعرنا ، وتوازي جزالة لفظه ورونق اسلوبه .

واذا كان لسهولة لفظ ابي العتاهية فضيلة تعود عليه بالخير اذ تميل العامة والمولعون بالسهولة الى اشعاره ، فان لها اثرا سيئا عليه ايضا ، اذ ان النقاد الذين يفضلون اللفظ على المعنى في الانتاج الادبي او الذين يوازون بينهما لم تكن اشعاره مما ينال اعجابهم ذلك اننا حين نقرؤها لا نجد فيها قوة ولا ملاحة حتى اذا اخذنا نتفكر في المعنى الذي اراده الشاعر وجدناه جميلا مقبولا .

وهكذا نجد شاعرنا قد جدد في الفاظ الشعر ومعانيه وطور صوره ، فأدخل في زهدياته المعاني الزهدية الجديدة على عالم الشعر ، ومال باللفظ الى البساطة والقرب ، واقتصد في الصورة فلم يأت بها الا الى حد ، وكان اذا اوردها اغترفها من واقع الحياة حوله دون اي محاولة للتمنيق والزخرف . وبذلك يكون قد نزل الى مستوى العامة لكي يفهم هؤلاء مذهبه في الزهد فيتأثروا به ويخفف المترفون من غلواء طمعهم في الحياة .

اما الملوك والخاصة الذين تثقف الاشعار لاجلهم وتختار الجزالة لارضاء اذواقهم فما ابعدهم عن الزهد — كما كان يقول ابو العتاهية نفسه — ولذا فلن يحاول ان ينسق شعره وفق اهوائهم ، بل وفق اهواء الشعب الذي انبثق عنه وعاش بين احضانه ولم يرغب في الارتفاع عن مستواه لا بشعره ولا بشخصه .

ولم يكن اتجاهه هذا ليحط من قيمته المعنوية عند الجميع ، فظل بعض الخلفاء ممن يحبون ان توجه اليهم النصائح ، يفضلون ابا العتاهية على كل من عاصره من الشعراء كما فعل الرشيد . وهكذا فان تواضع هــذا الشاعر ونزوله بالشعر الى مستوى العامة لم ينقص من قيمته بــل زادها علوا وارتفاعا ، فبقي شاعر الزهاد والمتصوفة وشاعر الدنيا كلها الصائرة الى الزوال والفناء .

وعلى هــذا فاننا نقبل قول الدكتور محمد نجيب البهبيتي بأن شعر ابي العتاهية شعر معنى ، ولكن الى حد . فاذا سميناه شاعر المعنى فليس يعني ذلك انه كان يغوص على المعاني ويأتي بها جديدة مبتكرة او غريبة عما الفه الناس من مفهومات ، ثم يصنع ذلك كله على حساب اللفظ . بل اننا لو تحرينا حقيقة شعره لما وجدناه شاعر لفظ ولا شاعر معنى ، وانما هو شاعر الطبع وشاعر البساطة النفسية التي يعن لها الخاطر فلا تتحرج في ان تسكب بأي القوالب اللفظية شاءت ولو كانت سوقية ، وبأي القوالب الوزنية ولو خرجت على الاوزان المعروفة . حتى ولو كان هذا المعنى لا يستحق ان يصبح شعرا .

فهل مثل هذا الشاعر يمكن ان يسمى شاعر معنى ؟ الا واني لأجد هذه الكلمة واسعة جدا بالنسبة اليه ، وهي كالثوب الفضفاض فوق انسان نحيل هزيل . ذلك ان منتهى القول عندي هو ان شاعرنا لم يكن يبحث عن لفظ ولا عن معنى وانما كان يصدر عن طبع شعري بسيط منطلق من روح الشعب ، لا يفكر بالمعاني المبتكرة ولا

بالصنعة اللفظية ولا البيانية . وذلك هو مبعث التجديد في شعره .

استخدم ابو العتاهية الاوزان الشعرية المعروفة في عصره والتي قيدها الخليل للشعراء . وقيل انه حين سئل هل يجيد العروض قال بأنه اكبر من العروض . ورايه هذا هو الذي جعله يركب البحر المتدارك — الذي استحدث في عصره — وجاز له او جوز لنفسه ان يقول :

همّ القاضي بيت يطرب قال القاضي لما عوتب

وذلك ان شاعرنا مال الى الاوزان الخفيفة ، وكان له نصيب من الشعر المزدوج الذي لا يلتزم وحدة القافية الا في صدر البيت وعجزه ، وقد سبقه الوليد بن يزيد الى هذا الفن في مزدوجته التي منها :

الحمد لله ولى الحمد احمده في يسرنا والجهد
وهو الذي من الكرب استعين وهو الذي ليس له قرين

اما المزدوجة التي صنعها ابو العتاهية فقد سميت ذات الامثال وقيل انها طويلة جدا وان ما وصلنا منها ليس الا اقلها . ومن ابياتها المشهورة :

هي المقادير فلمني او فذر ان كنت اخطأت فما اخطأ القدر
لا تطلع الشمس ولا تغيب الا لامر شأنه عجيب
ان الشباب والفراغ والجده مفسدة للعقل اي مفسدة
ان الشباب حجة التصابي روائح الجنة في الشباب

وهذا البيت الاخير كان موضع اعجاب الكثيرين .

وكأن شاعرنا قصد ان ينظم كل ما يخطر في باله من هواجس وافكار اشعارا يرددها الناس في ابسط عبارة واخف وزن ، فكثرت لديه الاوزان القصيرة ، وقلت القصائد التي ترجع الى الاوزان الطويلة في ديوانه . ولذا فاننا نستطيع ان نعد هذا النهج الذي انتهجه لنفسه في الاوزان نهجا جديدا . الا انه لم يأت بصورة اعتباطية انما اتى متجاوبا مع الاحداث والتطور فمعاصروه جلهم ان لم نقل كلهم اخذوا ينظمون شعرهم وفق الابحر القصيرة ، وذلك خلافا لما عهدناه من نفس الشاعر الجاهلي الطويل الذي يكثر في شعره من التفصيلات والمدود والحركات الطويلة .

واذا كان الدكتور شوقي ضيف قد علل مسألة شيوع الاوزان الخفيفة في ذلك العصر بانتشار الغناء وازدهاره ، فبماذا نعلل نحن هذه الظاهرة في شعر ابي العتاهية الذي لم ينظمه لاجل الغناء والطرب . وهل نستطيع ان نقول انه سلكه في تلك الاوزان ليجعل تناول العامة له سهلا ، او ليردده الزهاد في حلقات الذكر — ان كانت هنالك حلقات ذكر في عصره كما هو الحال عندنا الآن في بعض المجتمعات — ؟ ام ان الشاعر مال مع طبعه فسار وفق ما توجهه نفسيته ويقوده ذوقه واحساسه ؟ مهما يكن من امر فان ابا العتاهية قد جدد في الاوزان الشعرية او بعبارة ادق طور تلك الاوزان وفقا لمقتضيات عصره وتجاوبا مع اصداء نفسه ومجتمعه . وكان له لون عجيب من الشعر تتصل فيه الابيات اتصالا يجعلها تتساند وتتآخذ حتى لتشبه الحديث العادي وذلك كله لم يكن شائعا ولا متداولا قبله .

اما بناء القصيدة العربية العام فلا حاجة للاسهاب في تعريفه ذلك اننا نعرف عمود الشعر القديم وكيف كانت القصيدة الجاهلية تبدأ بالوقوف على الاطلال وذكر ديار الاحبة .. ثم بعد ذلك تنتقل الى الغرض الاساسي منها امدحا كان ام اعتذارا ام رثاء ام هجاء .. ولقد اخذت تلك المقدمات تتضاءل ويمحو منها الزمن ويختزلها الدهر بين الجاهلية والفترة التي عاش فيها شاعرنا . الا انه لا يمكننا القول بأن تلك المقدمات كانت قد زالت تماما . وذلك لاننا نجدها بصورة موجزة غايتها التقليد وحده عند شعراء عاصروا ابا العتاهية كأبي نواس وبشار .

فأبو نواس ابتدأ بعض مدائحه ، ولا اقول كلها ، بذكر الاطلال وآثار الديار . ومن ذلك مطلع قصيدة قالها في مدح الرشيد :

لقد طال في رسم الديار بكائي وقد طال ترددي بها وعنائي
كاني مريع في الديار طريدة اراها امامي مرة وورائي

وقصيدة اخرى مدح بها الامين :

يا دار ما فعلت بك الايام ضامتك والايام ليس تضام

وثالثة مدح بها الفضل بن يحي البرمكي :

اربع البلى ان الخشوع لباد عليك واني لم اخنك ودادي

وكذلك كان يفعل بشار وان كان اكثر من ابي نواس ولوعا بوصف طريق الرحلة وما يصادفه فيه . وقد حاول حتى في ارجوزته الدالية ان يذكر الاطلال ويصف الطريق قبل ان يصل الى المديح وكان مطلعها :

يا طلل الحي بذات الصمد بالله حدث كيف كنت بعدي

ويجدر بنا ان نشير الى ان الوقوف على الاطلال ظل ماثلا في القصيدة العربية بشكله التقليدي حتى عصر ابي تمام والبحتري والمتنبي ايضا ، كما حاول السير على منهجه البارودي شاعر العصر الحديث .

اما ابو العتاهية فان ذكر الاطلال كاد يفتقد من شعره ، وقل ما كان يمهد لغرضه بنوع من الغزل البارد — كما قال القدماء — واكثر ما كان يفعل انه يباشر ما يريده من قول دون تقدمات ولا سوابق . واذا حاول مرة ان يطرق هذا الباب من الشعر جاء عمله الفني خاليا من التوفيق ، وخصوصا حين يخضع الاطلال لاوزانه القصيرة الخفيفة ومعانيه الزهدية فيستبدل القوم الذين كان يفارقهم

الشاعر الجاهلي بسبب رحلة القبائل العربية وتنقلها الدائم ، يستبدلهم ابو العتاهية بقوم بادوا وفنوا واهلكهم الدهر . وشتان بين الموقفين ! بين رجل يقف على طلل ويذكر اهله الذين رحلوا عنه وبين رجل يقف على جدث يبكيه ويناجيه . فنحن نرى في هذه الابيات :

لمن طلل اسائله — معطلة منازله
غداة رايته تنعى — اعاليه اسافله
وكنت اراه ماهولا — ولكن باد آهله

نرى ان مشهد الاطلال والقبور قد اختلط على الشاعر حتى بدا غريبا من نوعه لم يسبقه احد اليه ولم يتابعه متأخر عليه . لان الاطلال والاجداث حقيقتان متغايرتان وليس من الذوق ابدا ان يخلط انسان بينهما .

وربما حاول ابتداء مدائحه بالغزل ثم اشار بصورة خاطفة الى الاطلال كما في قوله :

ألا ما لسيدتي ما لها ادلت فاجمل ادلالها
والا فيم تجنت وما جنيت سقى الله اطلالها

ومعروف ان صاحبة ابي العتاهية المقيمة على ضفاف دجلة ليست بحاجة الى ان يدعو لاطلالها بالسقيا ، ولكنها محاولة من الشاعر للتقليد ! ! . وزهديات الشاعر وطريقته تنافي الاساليب التقليدية ولذا فان اكثر محاولاته في هذا المجال — حين توجد — لا تكاد تعلو عن هذا المستوى . واكثر اشعاره قد خلا من كل تقدمة ، كما بينت ، ولذا فاننا يمكن ان نعد هذا السلوك من قبيل التجديد والخروج على القديم . ولكن الحق كل الحق مع الشاعر حين اقلع عن مثل ذلك النوع من الشعر ، لان اشعاره لم تكن من النوع المتاني الذي يبذل صاحبه من اجله وقتا وجهدا طويلين . وزهدياته لا تحتمل هذا اللون من الشعر ، ولذا فقد غاب من ديوانه شعر الاطلال او كاد يغيب .

وهكذا نرى اخيرا ان هذا الشاعر قد جدد في اغراض الشعر ومعانيه وصوره والفاظه واوزانه ، وفي بناء القصيدة العربية .

ونجد بذلك ان ابا نواس ثار على القديم ولكنه قلده في كثير من الاحيان . اما أبو العتاهية فانه لم يعلن ثورته على ذلك القديم كما انه لم يحاول التشبث بأساليبه ، بل سلك الطريق التي هيأتها له طبيعته . واذن فلن نعجب حين نرى له انصارا يعدونه اشعر الشعراء ، بل اشعر الجن والانس — على حد قولهم — وان كان لا بد ان نلاحظ ان مثل هذا اللقب كان مطاطا وواسعا جدا حتى انه استطاع ان يظلل غالبية الشعراء المشهورين منذ الجاهلية وحتى العصور العباسية المتأخرة ، فلا نكاد نجد شاعرا الا وقد اطلق عليه بعضهم لقب : اشعر الشعراء . ولكن في المسألة هنا عند ابي العتاهية امرا اهم من ذلك لان بعضهم قال عنه (انه اشعر الجن والانس) ! فما مصدر هذه التسمية وما هو الدافع اليها ؟ هل لانه جدد في كل ما ذكرناه من قبل ؟ .

اظن ان ذلك من الايغال في المبالغات ، والخروج على الحق ، اذ لم يكن ابو العتاهية بكل هذه المنزلة الا عند اشخاص كانوا شديدي التلاؤم مع الموضوعات التي طرقها والخطة التي سلكها . وذلك ان للناس اذواقا في تقبل الشعر وتذوقه تختلف درجاتها ، فبعضهم لا يرى ان يسمى ابو العتاهية شاعرا فضلا عن ان يكون اشعر الناس . وقد يكون هؤلاء ممن اولعوا بجمال اللفظ الشعري ومحسناته المختلفة التي كادت تفتقد عند هذا الشاعر .

ونحن لن نستغرب احكام القدماء وتفاوتها بتفاوت اذواقهم ، لان لنا امثلة عنها في عصرنا الحاضر ، فشوقي مثلا قد بويع بأمارة الشعر ، ومع ذلك فان العقاد — رحمه الله — ضن عليه مرة بلقب شاعر ، فكيف بأن يكون امير الشعراء .

واختلاف الناس في اذواقهم الشعرية امر طبيعي يشبه الى حد غير قليل اختلاف تلك الاذواق بالنسبة للاطعمة والالوان . والشيء الذي يشتهر بحسنه وروعته هو الذي يلائم اذواق اكبر عدد ممكن من البشر . واذا ذهبنا نتقصى الكمية ربما حصلنا على اغلبية ساحقة تفضل ابا العتاهية ، وذلك ان شعره لاءم العامة وبعضا من الخاصة . والخاصة كلهم لا يضارعون بعددهم العامة . ولكن لكل فن خبراءه .

والحق كل الحق ان ابا العتاهية شاعر غنى احساساته بألفاظ بسيطة لا كلفة فيها فاستجاب له البعض واعجبوا به ، كما ازدراه البعض الآخر ولم يتلاءم مع اشعاره . والشعر خاص بنفسية صاحبه ، ولا يمكن ان يعجب ناقد او متذوق بشعر شاعر الا اذا تمكن من ان يتصور الظرف الذي قيل فيه ذلك الشعر ، وان يمارس التجربة التي مارسها الشاعر ان حقيقة وان خيالا . وستبقى احكام الناس على الشعراء متفاوتة بتفاوت نظرتهم ، مختلفة باختلاف اذواقهم . ولقد جدد ابو العتاهية في الشعر ، ويبدو ان تلك النواحي التجديدية انما اتته من قبل عاميته ونشأته المتواضعة ، فحبذا الشعراء الذين ينبتون من الشعب ليعكسوا حياته ويغنوا مشاعره ويجددوا الفن الشعري وفق اهوائه ومتطلباته .

دمشق — **لطفية الشهابي**

الشاعر الياس فرحات

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

* * *

— ولد في كفرشيما (لبنان) سنة ١٨٩٣
— توفي بالبرازيل سنة ١٩٧٦
— هاجر الى البرازيل سنة ١٩١٠.
— اصدر مجلة (الجديد) مع توفيق ضعون .
— اصدر رباعياته سنة ١٩٢٥
— اصدر ديوان فرحات سنة ١٩٣٢
— اسس مع رفاقه (العصبة الاندلسية)
— اصدر ديوان (الربيع) و (الصيف) و (الخريف) سنة ١٩٥٤
— نشر (عودة الغائب) سنة ١٩٦٤
— نشر (قال الراوي) سنة ١٩٦٥
— نشر (فواكه رجعية) سنة ١٩٦٧
— سينشر ديوانه (الشتاء) عما قريب .

* * *

يحتل الادب المهجري في النفوس مكانة طيبة عالية ، لما له من ذاتية ادبية متميزة . استطاع بها ان يسهم في احياء حركة الادب العربي في المهاجر الامريكية وغيرها .

وبفضل الطلائع المتوثبة من ابناء العروبة هناك . نفض الشعر العربي عنه غبار الماضي السحيق ، الذي كان عالقا في جوهر الشعر ايام نكبة العرب بجيوش الغزاة الفاتحين ، بعد سقوط بغداد وزحف البرابرة المتوحشين .

ان حركة الادب المهجري ، هي حركة بناءة هزت بنغمات عنادلها المهاجرة نفوس ابناء الادب الشرقي . واستطاعت ان تحدث ضجة في اوساط المحافظين ، في جوانب القاهرة ، وبغداد ، وبيروت ، ودمشق .

وتصدى لهـا يومذاك طـه حسين ، والرافعي ، والزيات ، والعقاد . ولكنهم بعد ذلك بسنين اعترفوا بريادتها وقيمتها واثرها الفني ، وتجديدها الفكري . وكانوا يعيبون على المهجريين الشماليين خصوصا ، بعدهم عن قواعد اللغة العربية ، وانطلاقهم من قيودها ، واعاريض اشعارها .

وليس هناك من حجة قوية عند الخصوم تثبت امام سيل الادب المهجري الهادر . الذي ايده الناقد الدكتور محمد مندور .

اما ابناء الجنوب في امريكا اللاتينية . فان السهام الناقدة قد قللت من تريشها نحوهم . فرددت اندية القاهرة ، وجوانب الازهر اشعارهم .

اما العراق — فكان السباق — دون فخر وادعاء ، بتلقي اشعار المهجريين ونشر بعض دواوينهم ، والدعوة لتمجيدهم ، ومعارضة اشعارهم .

ومن بين هؤلاء النوابغ الشاعر المهجري (الياس حبيب فرحات) ١٨٩٣ — ١٩٧٦ الذي سمت به همته من الامية والجهالة الى ذروة النوادي والمنابر والمجالس .

وقدر له ان يتعلم القراءة والكتابة ، ثم ينظم الشعر الزجلي العامي اولا ، ثم القريض ثانيا .

عرفناه اول مرة بقصيدته الشهيرة (خصلة الشعر) التي منها قوله :

خصلة الشعر التي اعطيتنيها ... عندما البين دعاني بالنفير
لم ازل اتلو سطور الحب فيها ... وسأتلوها الى اليوم الاخير

وكان من مؤسسي (العصبة الاندلسية) في البرازيل ومن السنتها المعبرة عن قوميتها العربية . رغم بؤسه وشقائه ، ورغم كدحه ونصبه .

كان يترك المدن العامرة ، وينطلق في آجام الغابات بمجاهل (الامازون) وراء لقمة العيش التي مزجت بدماء قلبه ، وعرق جبينه ، ونور ناظريه .

وكان مثالا للرجل المفاخر بشخصيته العصامية التي كونها بذاته ، فلا جدود عظام ، ولا نسب شامخ ولا اسرة غنية . وهو ابعد الناس عن التحيز العنصري ، والمعتقد الطائفي . قال في صدر رباعياته :

فيما التباغض والاوطان تجمعنا ... قم نغسل القلب مما فيه من وضر
ما دمت محترما حقي فانت اخي ... آمنت بالله ام آمنت بالحجر

ان الشاعر المهجري الياس فرحات كان من حملة مشاعل العروبة في المهجر الجنوبي ، ومن الذين وقفوا ضد خصومها . ولقد جرت بينه وبين الشاعر فوزي المعلوف مناظرة شعرية حول البداوة والحضارة . ندد المعلوف فيها بالبداوة والجاهلية حيث قال :

خل البداوة نوقها وخيامها ... والجاهلية رمحها وحسامها

فعارضه فرحات بقوله :

هي البداوة نوقها وخيامها ... والجاهلية رمحها وحسامها
لولا الجذور المطمئنة في الثرى ... ما كانت الاغصان ترفع هامها

ومن خصائص هذا الشاعر العربي انه كان ابعد الشعراء عن موائد المناسبات والتهاني والتعازي والامداح. وهو في طليعة الشعراء المهجريين الذين صوروا حيـاة الهجرة الشاقة ، وغربة الوطـن ، ووحشة المسالك ، وشظف العيش .

قال من قصيدته الرائعة (حياة مشقات) :

أغرب خلف الرزق وهو مشرق ... واقسم لو شرقت كان يغرب
ونشرب مما تشرب الخيل تارة ... وطورا تعاف الخيل ما نحن نشرب
حياة مشقات ولكن لبعدها ... عن الذل تصفو للابي وتعذب

سألوه مرة كيف درست الشعر ، ونظمت القريض ، وانت لم تتعلم بكلية او جامعة ، او في مدرسة عالية او معهد فقال :

يقولون : عمن اخذت القريض ... وممن تعلمت نظم الدرر
واين درست العروض وكيف ... تلقفت هذا البيان الاغر
وما كنت يوما بطالب علم ... فانا عرفناك منذ الصغر

فكان جوابه الرائع قوله :

فقلت : اخذت القريض صبيا ... من الطير وهي تغني السحر
وعن خطرات عليل النسيم ... يمر فيشفي عليل البشر
وعن ضحكات مياه الجداول ... فوق الجلامد تحت الشجر
وعن زفرات المحب الاديب ... يزاحمه الموسر المحتقر
وعن نظرات الحسان اللواتي ... يكدن يغلفنها في الحجر
وعن عبرات الحزانى الضعاف ... ففي عبرات الحزانى عبر

ثم يجيب عن دراسة المعاهد والجامعات بقوله :

لئن كنت لم ادخل المدرسات صغيرا ولا بعد هذا الكبر
فذا الكون جامعة الجامعات وذا الدهر استاذها المعتبر
ففي المبكيات بيان جميل وفي المضحكات معان غرر
وفي كل ما يبصر المبصرون دروس تنار بهن الفكر
فمن يحي يوما ولا يستفيد اعمى البصيرة اعمى البصر

اما مشاعره نحو العراق وابناء الرافدين فهي مشاعر نبيلة طيبة حورب من اجلها ، وكاد ان يموت برصاص خصوم العروبة يوم ان كانت غيوم الاستعمار تخيم على العالم العربي . وجيوشه تحتل تربته المقدسة . فقال من قصيدة (شباب العراق) :

قد اضاء الحق في الغرب دروبه
فأرانا ثغلب الغرب نيوبه
وثبة تنعش آمال العروبه
وتزيل الحيف عنا وكروبه
هكذا نغفر للدهر ذنوبه

وكان متلطفا علي باهداء مجموعة دواوينه التالية :

١ — الربيع — الذي اصدره في سان باولو البرازيل سنة ١٩٥٤ وقال في مقدمته :

هذا الربيع نظمته مترنحا والنفس تمرح في ربيع صبائها
فاذا بلغت شتاءها حدثتكم عن صيفها وخريفها وشتائها

٢ — الصيف — الذي اصدره في سان باولو سنة ١٩٥٤ وقال في مقدمته :

يا صيف انضجت منى ما كان بالامس فجا
فلياكل اليوم شهدا من ذاق بالامس فجا

٣ — الخريف — الذي اصدره في سان باولو سنة ١٩٥٤ وقال في مقدمته :

تمشى خريف الدهر في عمر دوحتي ولم تبق منها الريح نفعا لعابر
وعما قليل يبلغ اليبس حده فتسطو عليها فأس مفنى المقابر

٤ — الرباعيات — التي صدرت في سان باولو سنة ١٩٥٤ وقال منها :

عجبت لمن يطوي لياليه ساهرا يفتش عن معنى غريب فيلقاه
فينظمه شعرا ولا فرق عنده اذا ما اهتدى قراؤه فيه او تاهوا
الا ان خير الشعر ما ساغ لفظه وما كان مما يسبق اللفظ معناه
اذا جاءني المعنى الغريب فمرحبا وان لم يجيء لا رد غربته الله

٥ — احلام الراعي — الذي صدر في سان باولو سنة ١٩٥٣ جاء منه قوله :

والجوع ما دام ساكنا ألم فان تحرك فانه غضب
اذا استحال الانين زمجرة تساقطت من سمائها الشهب
وثورة الجائعين ان نشبت فكل قصر لنارها حطب
عليك خوفي وليس منك فلا تنفح رمادا وراءه لهب
وتلك امنيتي لديك فان ضحكت مني عليك انتحب

صور لنا (فرحات) في قصيدته (رثاء بلبل) قصة حياته المكافحة . وايام عمره المكدودة فقال ولعله يعني نفسه عن لسان ذلك الغريد الصيداح :

كتاب حياة البائسين طويل تليها حواش للاسى وذيول
قضى البلبل الغريد والناس حوله تقيس مديحا زائفا وتكيل
قضى شاعر يرثي له كل شاعر ويبكي عليه معشر وقبيل
هبوني حياة لا تروع بالاسى وسيان عندي شهرة وخمول
وداد بني الدنيا سراب لظامئي وما ابتل من ورد السراب غليل
اذا انت لم تحتج اليهم فكلهم صديق سخي الراحتين نبيل
وكل قصير الباع من الفضل والنوى له مقول في الادعاء طويل
وما العمر الا دمعة وابتسامة وما زاد عن هذي وتلك فضول

وختمها بقوله :

ولو انهم غذوه خفت ذنوبهم وكان لهم للاعتذار سبيل
ولكن لهوا عنه بشكواه منهم ويلهو بشكوى العبقري جهول

ويخاطب ابناء وطنه ، واخوان مهجره فيقول مصورا حياته ، وحياة اطفاله ، وكأنه قد رسم لوحة من الواح الشاعر الفرنسي (فيكتور هوجو) في روايته (البؤساء) اذ قال شاعرنا المهجري :

هنيئا لكم حول الخوان اجتماعكم وصاحبكم يطوي الليالي بلا زاد
وعندكم الماء النمير مسيله جزافا على وجه الثرى وانا صاد
واولادكم في الجوخ تدفأ جسومهم فما همكم ان يقتل البرد اولادي
تمر على صدري الخطوب كانما بنته لها الايام جسرا على واد
وما شفعت بي نزعة عربية ولا ادب تاهت به لغة الضاد
ولا وطن ناء لنا في ترابه بقية آباء كرام واجداد

وهو بكل هذه الاحوال نراه ابي النفس ، صابرا على المكاره ، شموخا بعزته وابائه . اذ يقول :

اقول لنفسي كلما عضها الاسى فآلمها صبرا ففي الصبر مكسب
لئن كان صعبا حملك الهم والاذى فحملك من الاناس لا شك اصعب
فلولا اباء مازج الطبع لم يكن لمثلي مجيء في البرادي ومذهب
ولا ترتجي الاخلاص من كل باسم ففي الباسمين المبغض المتحبب
وما حين حق لا سلاح لربه واضعف انواع السلاح التاديب

انه يدعو الى القوة ، والثورة ، والانفلات من قيود الذل والخنوع ، ويرى ان استرجاع الحقوق المغصوبة لا يتأتى بالمسالمة والحديث الناعم . بل بالارادة ، والتضحية ، والبطولة .

ان الشاعر فرحات كما قال عنه بعض نقاد شعره في المهجر هو « تلك القطرة من الندى التي ذرفتها مقلة الفجر على ورقة الورد ، وغادرتها قلقة مترجرجة وجلة من ان تقبلها احدى نسمات الصباح ، او ان تبخرها ابتسامات ذكاء » . « واصبحت الحاسة قوية قاسية صلدة تشغل من تاج الادب العربي المقام السامي ، يتألق نورها لماعا يأخذ بالابصار ، ويخلب الالباب » .

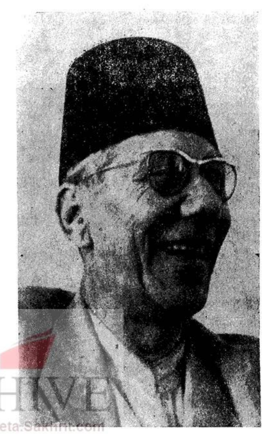
انني اذ اختم هذه المقالة عن الشاعر الراحل الياس فرحات . اتمنى مخلصا ان تلتفت وزارة الاعلام الى اخواننا الادباء والشعراء والصحافيين في المهاجر ، فتقيم لهم ندوة عربية او مؤتمرا قوميا ، يعيد الى نفوسهم الحب الذي فقدوه في مهاجرهم لتطاول غربتهم ، ويرجع اليهم الاعتزاز بعروبتهم التي تشن عليها وسائل الدعاية المغرضة . لكي تفقدهم احساسهم نحوها . ولكي تبعدهم عن حضيرة اوطانهم ، وتضعف فيهم مشاعرهم تجاه اخوتهم في العالم العربي .

بغداد — كلية الآداب

محسن جمال الدين

اهم المراجع عنه :

١) دواوين الشاعر — الياس فرحات .
٢) الياس فرحات شاعر العروبة في المهجر — للناعوري .
٣) شعر من المهجر — محمد قره علي .
٤) اشعار وشعراء من المهجر — محمد عبد الغنى حسن .
٥) جريدة الجمهورية — (بغداد) — عرب المهجر وقضايا المصير القومي ١٩٧٧/١٠/١٩ .



محمود ابو الوفا

محمود ابو الوفا شاعرا

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

رئيس جامعة الازهر باسيوط

وعميد كلية اللغة العربية

* * *

مذهب الشاعر في شعره : محمود ابو الوفا علم من اعلام الشعر المعاصر في مصر والعالم العربي على مدى ثلاثة اجيال وقد عاش حياته الحافلة ، في ظلال ثلاث ثورات عظيمة : ثورة ۱۹۱۹ التي غذاها بشعره الثائر في شبابه الباكر ، وثورة يوليو ١٩٥٢ التي لباها في شيخوخته المثمرة النافعة فأكرمته وكرمته ، وثورة ١٥ مايو ١٩٧١ التي حياها وباركها في كبولته الحكيمة المجربة للناس والايام والحياة .

آثر الشعر للشعر واحبه واحب الجيد منه في جميع العصور من جميع المذاهب . ومن اي الالوان والاغراض . محافظا على عمود الشعر العربي ، معتزا بالقيم الفنية الرفيعة ، في مجاله الابداع الشعري والعبقرية التعبيرية .

قرا لكل المتقدمين والمتأخرين والعصريين والمعاصرين ، مؤمنا بروح التأثر ، نابذا قيود التقليد والالتزام والتبعية .

وحرص الشاعر في شعره على نزعة انسانية فريدة ، قوامها الحب والامل في سعادة الانسان ، فلحظ ذلك . في قصيدته « الايمان » التي كتبها عام ۱۹۳۰ ، وقصيدته (امواج) وقد نظمها عام ١٩٥١ . وملحمته (عنوان النشيد) التي نشرت عام ١٩٥١ ايضا ، وقصيدته (النشيد) ، وقد كتبها عام ١٩٥٢ م. ، وفيها الدعوة الى الحب والانسانية والشفافية . وقد اجمل ابو الوفا هذه الفلسفة في بيت من شعره :

حتى اذا الحب اضناني فمت هوى ان يذكروني قالـوا كان انسانا

ومن اجل ذلك عرفه الناس شاعرا فذا تغنى قصائده في غابات البرازيل والارجنتين كما تغنى في هضاب الجزيرة العربية وصحاريها . وتتناهى شهرته الى ديار الشام والى دنيا العرب من الخليج الى المحيط ، ويترجم شعره الى الاقطار الانكليزية والالمانية والايطالية والاسبانية واليونانية ، كل ذلك لانه شاعر القيم الفنية الرفيعة ، وشاعر الموسيقى الحلوة العذبة ، وشاعر الحب والانسانية والانسان والداعي الى الاخاء والحرية .

وقد ارتفع الشاعر محمود ابو الوفا على آلامه ، وصعد بعصاميته وموهبته الى مجال المجودين والمجددين . ونظم الشعر النفسي والاغنية الانسانية والدينية والقومية والغزلية التي برز فيها حتى ليعتبر رائدا من روادها ، كما نظم الشعر الوطني والتأملي وشعره مرآة لنفسه وحياته ، فهو يكشف عن نفسه الحرة المتحررة ، ويعبر بصدق عن واقعه النفسي .

وابرز سماته الاباء وحرية التفكير وحب الصداقة ــ ويدور حول هذه السمات ديوانه « عنوان النشيد » ، الذي اراد منه بث القوة في النفس ، وتجديد الفهم ونشر الطموح والاعتداد والدعوة الى وجود انسان جديد سماه في قصيدته الطويلة « النشيد » : انسان الفصل الخامس .

وفي ملحمته « عنوان النشيد » روح ايجابية صاعدة جديدة واتجاه موضوعي يبشر بالحرية والاختيار والاستعلاء

والثقة بالانسان وبطاقاته الكامنة العجيبة في الدعوة الى القـوة .

ويعتمد في اسلوبه التعبيري على حيوية اللفظ وعلى الموسيقى والعناية بالصور الجميلة التي تتجلى في طموح العزة ، والتي تنظر الى الضعفاء حيث لا تقترن بالقوة .

الشاعر والحياة : والشاعر محمود محمد مصطفى ابو الوفا ــ وشهرته : محمود ابو الوفا . من مواليد يوليو عام ١٩٠١ ــ بقرية الانشاصية مـن قرى مركز اجا دقهلية ، عاش عصاميا يبني نفسه بنفسه ، ودرس علوم العربية والدين في معهد دمياط ، ثم جاء الى القاهرة وتردد على حلقات الازهر وتتلمذ على شيوخها ، ولم يلبث ان صار احد خطباء الازهر في ثورة عام ١٩١٩ منذ اكثر من نصف قرن ، وفرغ ابو الوفا للشعر وعاش له .

وسافر في يونيو ١٩٣٢ الى باريس وايطاليا للعلاج بعد ان بترت ساقه وصار يعتمد على عصاه في السير ، وذلك على حساب الحكومة المصرية .

وكرمه الشعراء والادباء في مايو ١٩٣٢ . فأقاموا له حفلا كبيرا ، وكانت لجنة تكريمه مؤلفة من داود بركات رئيس تحرير الاهرام ، احمد زكي باشا شيخ العروبة ، والعمروسي بك اول نقيب للمعلمين ، ابراهيم زكي مدير التعليم بوزارة الاوقاف ، يوسف احمد كبير مفتشي الآثار ، فؤاد صروف رئيس تحرير المقتطف ، الدكتور زكي مبارك ، اليعقوبي شاعر فلسطين ، الدكتور احمد زكي ابو شادي ، وتولى سكرتيرية اللجنة الاديب كامل كيلاني ، واشترك امير الشعراء احمد شوقي في حفل تكريمه بقصيدة جاء فيها :

البلبل الفرد الـذي هـز الربى وشجى الغصون وحـرك الاوراقا
خلف البناء على القريض وكأسه فسقـى بعـذب نسيبـه العشاقا
سباق غايات البيان جـرى بـلا ساق ، فكيف اذا استرد الساقا

وكان شوقي قد اوصى بأن لا ينشر شعره بعد وفاته الا بمراجعة وتحقيق محمود ابو الوفا اطمئنانا من هذا الشاعر العظيم الى ذوق ابي الوفا المرهف ، ومقدرته الادبية الفائقة ، وقام الشاعر في الثلاثينات بتأليف اناشيد شعرية لوزارة التربية والتعليم (المعارف آنذاك) ، محررا لباب المكتبة في مجلة المقتطف العتيدة ، كما عمل محققا في القسم الادبي بدار الكتب المصرية ، ومحققا بلجنة التاليف والترجمة والنشر ، حيث حقق لها بعض كتب التراث .

وكذلك اشرف لشركة مطبعة مصر على ما تنشره من كتب التراث والادب في الفترة من عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٥٩ .

انتاجه الشعري : ١ ــ ديوان الحرية (١٩١٩) ــ مجموعة قصائد وخطب وطنية القيت على الجماهير في الازهر الشريف خلال ثورة ١٩١٩ . وقد طبع ووزع هذا الديوان سرا . ٢ ــ انفاس محترقة ــ طبعة اولى ١٩٣٢ ــ مطبعة دار الهلال . ٣ ــ انفاس محترقة طبعة ثانية مع اضافات ــ ١٩٥٠ ــ مطبعة مصر . ٤ ــ ديوان الاعشاب ــ ١٩٣٤ ــ مطبعة الوفاء بالقاهرة . ٥ ــ ديوان اشواق ــ ١٩٤١ ــ مطبعة مصر . ٦ ــ عنوان النشيد ــ ١٩٥١ ــ مطبعة مصر ــ ملحمة شعرية ممزوجة بتأمل فلسفي . شرح فيها الشاعر مفاهيمه حـول القوة والحياة والدين والايمان والتعليم والسلوك ، والحب ، والعمل والثورة . ٧ ــ انسان الفصل الخامس ــ ١٩٥٤ ــ مطبعة مصر ــ يتضمن هذا الكتاب ملحمة : « عنوان النشيد » وملحمة « النشيد » التي رسم فيها الشاعر شخصية الانسان القادر على الحياة وسط المتضادات المختلفة ، والمساعي الى تحمل اعباء الحياة المادية والروحية معا ، ليكون دائما هو الانسان خليفة الله في الارض . ٨ ــ ديوان شعري ــ ١٩٦٢ ــ دار المعارف بمصر ــ يتضمن قصائد في الوطنية والقومية والغزل ، وفلسفة الحياة ، والغنائيات ، الى جانب بعض المسرحيات الشعرية . ٩ ــ ديوان شعري ــ ١٩٧٣ ــ مطبعة وزارة الاوقاف الاسلامية ــ وهو مجموعة مختارة من القصائد قدم لها وزير الاوقاف المصرية آنذاك الدكتور عبـد الحليم محمود . ١٠ ــ مجموعة شعرية ــ تحت الطبع . ١١ ــ ديوان اناشيد دينية ــ ١٩٣٧ ــ مطبعة مصر ــ طبعة اولى . ١٢ ــ ديوان اناشيد دينية مـع الحانها الموسيقية في طبعتين ــ ١٩٥٤ ــ مطبعة مصر . ١٣ ــ ديوان اناشيد عسكرية ــ ١٩٣٩ ــ مطبعة مصر . ١٤ ــ ديوان اناشيد وطنية ــ ١٩٥٦ ــ مطابع دار الكتاب العربي بمصر . ١٥ ــ اناشيد للاطفال في موضوعات اختارتها لجنة من وزارة التربية والتعليم ــ وطبعت في كتاب المحفوظات المختارة الذي صدر للاستاذين : عباس حسن واحمد عباس ١٩٣٤ .

تحقيق التراث : ١ ــ ديوان الهذليين ــ القسم الثاني ــ ١٩٤٨ ــ مطبعة دار الكتب المصرية . ٢ ــ ديوان الهذليين ــ القسم الثالث ــ ١٩٥٠ ــ مطبعة دار الكتب المصرية . ٣ ــ ديوان الشوقيات ــ الجزء الثالث ــ ١٩٣٣ ــ دار التأليف والترجمة والنشر . ٤ ــ جمال المراة في القصيدة اليتيمة ــ ١٩٢٢ ــ مطبعة وادي الملوك .

القصص : ١ ــ قصة مملكة النساء ــ ١٩٥٠ . ٢ ــ قصة المصادقة للجميع او التلاميذ الثلاثة ــ ١٩٥٠ .

٣ ــ هؤلاء ابنائي ــ تحت الطبع ، وهو يمثل فلسفة الشاعر في الحياة من خلال سيرته الذاتية .

مقالات ومحاضرات : ١ ــ في يناير ١٩٣٥ فاز الشاعر بالجائزة الاولى في مسابقة نظمتها الاذاعة المصرية واشترك فيها اكثر من خمسمائة واربعين شاعرا واصبح الشاعر بمقتضى هذه المسابقة مذيعا بالقسم الادبي للاذاعة المصرية (١٩٣٥ ــ ١٩٤٠) حيث اذاع في تلك الفترة نحو ثلاثين محاضرة في الادب العربي ــ كما قدم برنامجا جديدا بعنوان شوارع القاهرة . ٢ ــ تعريب ومقدمة لرواية الكاتب الفرنسي اناتول فرانس وعنوانها : (جريمة سان سلفستر دي بونار) ــ ١٩٣١ ــ المطبعة العصرية . ٣ ــ مقالات ادبية ونقدية نشرت في مجلات : المقتطف ــ قافلة الزيت ــ السياسة الاسبوعية وغيرها .

اعمال اخرى : ١ ــ من مؤسسي رابطة الادب الجديد ــ واحد المؤسسين لجماعة ابولو الشعرية . ٢ ــ قامت على ملحمة انسان الفصل الخامس جمعية دار الرياضة النفسية المبنية على اسس نظرية (انسان الفصل الخامس) عام ١٩٥٥ بمدينة المقطم ، وهي جمعية تربوية تدعو للتربية الروحية .

وسام : وحصل الشاعر على وسام الاستحقاق من الدرجة الاولى للفنون والعلوم عام ١٩٦٧ .

الحان : وقد غنى بشعر الشاعر الاستاذ محمد عبد الوهاب ، وزكريا احمد ، ورياض السنباطي ، وحليم الرومي ، ومحمد قنديل ، وعزيز عثمان ، والشيخ علي محمود وسواهم . واغنية (عندما يأتي المساء) مشهورة .

نقاد ودارسون لشعر الشاعر : وقد تناول اعمال الشاعر بالنقد والدراسة كبار النقاد والباحثين ومن بينهم : ١ ــ احمد زكي باشا شيخ العروبة ... راجع مجلة الاخاء ١٩٣٤ . ٢ ــ د/محمد حسين هيكل باشا (راجع افتتاحية جريدة البيان القومية ١٩٣٣/٤/٢) . ٣ ــ د/طه حسين راجع جريدة الوادي ١٩٣٥ ، وحديث الاربعاء الجزء الثالث . ٤ ــ د/علي العناني ــ راجع البلاغ ١٩٣٥ . ٥ ــ مصطفى صادق الرافعي ــ راجع الجزء الثالث من وحي القلم . ٦ ــ د/محمد مندور ــ الحلقة الثالثة من كتابه الشعر المصري بعد شوقي . ٧ ــ عباس محمود العقاد راجع صحيفة الاساس يناير ١٩٥٢ ، ومجلة قافلة الزيت . ٨ ــ البشبيشي ــ راجع البلاغ عام ١٩٥٧ . ٩ ــ حسن القاياتي ــ عبقرية ابو الوفا ــ الاهرام ١٩٣٢ . ١٠ ــ د/احمد زكي ابو شادي في مقالات عدة نشرها في مختلف المجلات . ١١ ــ ابراهيم عبد القادر المازني ــ البلاغ ١٩٣٦ . ١٢ ــ فؤاد صروف ــ رئيس تحرير المقتطف ــ وهو الذي قدم الطبعة الاولى من ديوان الشاعر (انفاس محترقة) ، عام ١٩٣٢ . ١٣ ــ مصطفى عبد اللطيف السحرتي في كتابه (شعراء مجددون) . ١٤ ــ د/محمد عبد المنعم خفاجي في كتابه (الشعر العربي الحديث ومدارسه) . ١٥ ــ د/شوقي ضيف في كتابه (دراسات في الادب العربي المعاصر في مصر) . ١٦ ــ د/احمد الشايب . ١٧ ــ د/ماهر حسن فهمي . ١٨ ــ الاستاذ سيد قطب ــ الاهرام ــ مجلة الفكر المصرية ١٩٣٤ . ١٩ ــ الاستاذ كامل كيلاني . ٢٠ . الاستاذ كامل الشناوي . ٢١ ــ وديع فلسطين في مجلة الاديب البيروتية (عدد ١٩٥٢/٦/٢١) . ٢٢ ــ الاديب العراقي وحيد الدين بهاء الدين في كتابه (شخصيات معاصرة) . ٢٣ ــ الاستاذ شوقي امين . ٢٤ ــ الاستاذ عباس خضر . ٢٥ ــ الاستاذ محمد زكي عبد القادر . ٢٦ ــ الاديب حليم متري ــ جريدة الوادي . ٢٧ ــ الاستاذ احمد ابو العز سكرتير امير الشعراء في كتابه (اثنا عشر عاما في صحبة امير الشعراء احمد شوقي) . ٢٨ ــ احمد زيتون في كتابه انسان الفصل الخامس . ٢٩ ــ ابراهيم العريض من ادباء وشعراء ونقاد البحرين . ٣٠ ــ الشاعر المهجري ميخائيل نعيمه . ٣١ ــ المستشرق الانجليزي آربري . ٣٢ ــ المستشرق الاسباني د. خوان وتنيه في كتابه (الادب العربي) . ٣٣ ــ المستشرق المجري د. عبد الكريم جرمانوس . ٣٤ ــ المستشرق الفرنسي لويز ماكيرزن في مجلة الابحاث الاسلامية بباريس . ويضيق المقام هنا عن الاستشهاد بآراء كل من هؤلاء في الشاعر محمود ابو الوفا ومنزلته الرفيعة في الشعر العربي الحديث .

شعراء كرموا الشاعر بشعرهم : ١ ــ امير الشعراء احمد شوقي في قصيدته في الشاعر القيت في مهرجان رابطة الادب الجديد لتكريم ابي الوفا في عام ١٩٣٢ .

٢ ــ الشاعر الكبير محمد عبد الغني حسن ــ قصيدة له في الشاعر منشورة في ديوان (سائر على الدرب) .

٣ ــ الشاعر الكبير محمد الماحي ــ قصيدة له منشورة في ديوان الماحي .

٤ ــ الشاعر الكبير جورج صيدح ــ قصيدة له في ابي الوفا ــ نشرت في مجلة العالم العربي التي تصدر بالارجنتين في ١٩٦٨/٥/٨ .

هذا هو ابو الوفا الشاعر في حياته وشعره وشاعريته وتراثه الفني وناقديه .

والى مقام آخر لندرس جوانب شاعريته بالتفصيل .

اسيوط — **محمد عبد المنعم خفاجي**

وليدة البحر والسماء

◎

ليلى السايح

◎

الكويـــــت

بالامس كان الزمان
وكان الصمت الموحي بالضجيج
اي سر دفعني الى مناداتك
ايها المغلف بأساطير العشق والخلود

يقولون : جفت الارض
فجودي بأمطارك ايتها الغيمة المسافرة عبر القرون
أمطرا اصطناعيا تريدون ؟ !
دعوا للغيمة حرية ادرارها
شرعوا ابواب العشق والوفاء
لتحنو وتنهمر .. وتسيل
نهرا سماويا فيه زخم الالتحام الالهي
أليست الغيمة وليدة مخاض الطبيعة ؟

حين تتبادل السماء مع البحر سر الحب
تنبثق الوليدة
لتعطي شهد الاستمرار والبقاء
ليس في الاسرة الحمراء
ولا في القيود الورقية
انما في انصهار الفصول
وتلاحم النقيضين ..
في التقاء عاشقين
في لمسة حب
في فيضان حنان
في تصعيد جسدي روحي
يسمو حتى على منبتها الاصلي
البحر والسماء !

ايتها الغيمة الآتية عبر السديم
لمن تدخرين عطاءك ؟
لمن هذه التنهيدة ..
المتفجرة .. القزحية في الافق البعيد
من قال : اني أدخر العطاء
انما شلالي لا يندفع الا
الى الارض التي احب ..
في حديقة حبيبي
في واحتي القدسية
حيث اقدم طقوسي الشمسية
الى صنوي الذي لولاه
لما كنت
ولا كان المطر
ولا العطاء





بقلم حسني سيد لبيب

يلفح الهواء البارد وجهه وانامله . النافذة المغلقة لم تفلح في حمايته من البرودة ، لكنه يستشعر الدفء بداخله . لم يؤذه جو طوبه ، رغم احاديث من حوله عن تثلج اطرافهم . اشعل لفافة دخان ، وتأمل اصابع يده اليسرى الممسكة بعلبة الكبريت ، ما زالت يده قادرة على اداء مهمتها .

جالت في خاطره موضوعات شتى ، وكلها لم يبت فيها منذ زمن طويل . واليوم ، يعود الى سوهاج في اجازة قصيرة لا تتعدى اليومين ، وعليه ان يحسم الامور حتى يستريح من القلق الذي يعانيه . يعود اليوم من سيناء ، والدم الساخن لا يزال يتدفق في عروقه . علمته الحرب اشياء كثيرة ، لكن الدرس الاكبر الذي استوعبه هو حسم الامور .

ان القلق الذي عصف على ربيع حياته ، فأفسد مزاجه ، قد زال وانمحى تماما . لقد صرفته معركة العبور عن كل شيء ، وتمنى ان يطول زمن الحرب ، واحيانا كان يتمنى ان يستشهد ، فتنتهي مشاكله الخاصة . لكنه بعد ايام من اشتعال المعارك ، تناسى هذه المشاكل تماما ، والهاه مدفعه صائد الدبابات عن كل شيء . استهواه منظر الدبابة المشتعلة . كلما اشعل دبابة هلل وكبر ، وتعملق بمدفعه على رمال سيناء العطشى .

الرجل المعمم الرأس الجالس قبالته ، يمد يده ، يرجوه ان يشاركه التدخين ، وتمتد يده السمراء تتناول لفافة ، ثم يسرع الى علبة الكبريت ، ليشعل لفافات جيرانه في المقعد ، ينفث الدخان في راحة . ان يده اليسرى على ما يرام ، وليس هنالك ما يضير .

لم يعد يطيق صبرا ، لقد تعلم في الجامعة ، تخرج في كلية الحقوق ، ورغم هذا فمشاكله ظلت سنوات طويلة دون حل . نبيلة ، ابنة عمه ، تستحوذ جل اهتمامه . لماذا يمنى نفسه بها ؟ .

منذ ست سنوات ، استشهد مصطفى . تألم الجميع ، والجرح الدفين لم تشفه كل هذه السنين . ظلت نبيلة تلف جسمها الرقيق بالسواد ، ولم تفارق الطرحة السوداء راسها . لشد ما تعلق بعينيها السوداوين النجلاوين ، وكأن ما يربطه بهما اعمدة رجاء ، فاذا ما رنت اليه بهاتين اللؤلؤتين ، يستشعر حلاوة الامل ، وروعة اللقاء . لكنها ابدا لم تحن على آماله ، وافق عمه على زواجه منها ، لكنه بعد ايام قال له :

— حين فاتحتها في الزواج ، قالت انها عازفة . انها لا ترفض ، لكن استشهاد مصطفى لا يزال جرحا ساخنا لم يندمل بعد ، فاترك للايام مداواته .

وصدق عمه ، وايقن ان الايام كفيلة بمداواة الاوجاع ، والزمن خير علاج .

تجاذب رفقاء السفر اطراف الحديث معه . يقعد امامه الرجل المعمم ، وامرأة تتجلبب بجلباب اسمر ، وبجانبه شاب في الثلاثين . في جعبتهم اسئلة كثيرة ، ودوا ان يعرفوا كل شيء عن المعارك ،



وتفاصيلها . حكى لهم بطولات زملائه ، وكيف ارتفعت الراية فوق المواقع المحررة .

تمنى ان تجلس نبيلة معه ، وتسأله عن تفاصيل المعركة ، فيحكى لها عن بطولات زملائه ، وعن معان جديدة .. ثم تتجمد ملامحه ، ويقطب ما بين الحاجبين ، متذكرا ما انتواه . الم يوطد العزم على حسم الامر ؟ . وماذا بعد صبر ست سنوات وهو يمني النفس ، دون فائدة ؟ . ربما لا تريده شريكا لحياتها ، ولعل عزوفها عن الزواج ، نوع من الرد المهذب على شيء اسمه الرفض . فلماذا يتشبث بها كالطفل ؟ . وعيناها السوداوان ، نافذتا امل تشعان الفرحة وقت التلاقي . هل يطيق البعد عنهما ؟ . يطن في اعماقه صوت متمرد ، يؤكد له ان حبه من طرف واحد ، وعليه ان يئده في سويداء قلبه ، ويتلظى بناره ، ويترك نبيلة تملى ارادتها كما تشاء .

والثأر ، تلك النغمة النشاز التي عكرت صفاء حياته . ان اعمامه يحثونه على الثأر لابيه . قصة قديمة عمرها عشرون عاما . كان وقتذاك في الخامسة من عمره ، كان طفلا لا يعي امور الحياة . وقتل ابوه ثأرا لمقتل احد افراد عائلة السلاموني . نزا - قديم يمتد في اغوار الماضي الى عهود غابرة ، وكان اعمامه يتحفزون للانتقام من القاتل ، لكن المنية عاجلته ، قضاء الله الذي لا يرد ، ولم يجدوا من يطفىء الحريق الملتهب في صدورهم سوى ابنه الذي لا يتعدى سنه العام الواحد ، وطبعا لا يجدر الانتقام من رضيع . ومنذ الصغر ، بدأوا يرضعونه لبن الثأر من الوليد المسمى احمد السلاموني ، ابن القاتل . وشب حمدي عن الطوق ، وتعلم ، ودرس مع ابن عمه مصطفى في كلية الحقوق ، وتباعدت المسافة بين القاهرة وسوهاج ، فتقاعدا على انهاء قصة الثأر بين العائلتين . تحمس حمدي ، ووجد

ان تنازله عن الانتقام سيكون مضرب مثل في انهاء عادة قديمة يستهجنها المنطق .

واليوم ، ماذا انت فاعل لانهاء نداء الثأر المدوي في آذانهم ؟ . منذ ست سنوات ، استشهد مصطفى الذي كان يلازمك كظلك ، وتركك تعصف بك زوابع القلق ، ونوازع العنف . الكل من حولك يطالبونك بالثأر ، وانت تماطل وتسوف ، دون ان تفصح عن نيتك المسألة . واليوم ، يجدر بك حسم القضية ، وتعلن دون خوف انك لن تقتل احمد السلاموني .. انه لا ذنب له فيما اقترفه ابوه منذ عشرين عاما .

ويعود طيف نبيلة ، كحلم سرمدي . آن له ان يفيق الى واقعه . يشرد به الذهن الى سنوات الدراسة ، متذكرا تلك الليلة الشتوية ، كهذه الليلة تماما ، منذ اكثر من سبع سنوات . حين باح لمصطفى بأمنيته التي طواها بين جوارحه . اعلن لـه رغبته في الزواج من نبيلة . تعانقا ، وقرآ الفاتحة ، وامضيا الليـل يخططان للمستقبل .. كيف يمهدان للزواج ، وكيف يفاتحان الاب ؟ .

وافقت نبيلة ، وتشاء الظروف ان يتخرج الاثنان ، ثم يجند مصطفى ، ويؤجل تجنيد حمدي . وتجيء حرب يونيو ، وانكسارة الجيش ، والحزن الذي غطى قسمات وجـه مصر ، وغلف لياليها بالانـين .. استشهد مصطفى .. فتأجل زواجه من نبيلة ، التي اتشحت بالسواد وعزفت عن كل شيء ، زهدت في الكلام ، وانطوت على نفسها ، تلوك حزنها ليل نهار . وابتهل حمدي الى الله كـي تلتئم الجراح ، وتطمئن النفس .

واليوم ، بعد صبر ست سنوات ، علمته الحرب ان يحسم كل اموره ، ويبدأ حياة جديدة . كيف يرضى بابنة عمه التي عزفت عنه ؟ . يجب ان يئد حبه الجريح ، ويرضى بما كتبه القدر . ان يده اليسرى على ما يرام ، بعـد الجراحة التي اجريت لـه في مستشفى الميدان ، لكنه سيجعل منها سببا ، ويحل نبيلة من اتفاق تم رغم انفها ، او هكذا تبدى له .

وسيعلن للجميع رفضه للانتقام ، مهما تكن العواقب . حتى لو ادى ذلك الى موته . لقد مرت عليه احايين كان يتمنى خلالها شرف الاستشهاد ، وما ايسره في اتون المعركة ، وزعيق الموت يصرخ في كل اتجاه ، وبات ملازما له كظله ، حتى فقد الاحساس بطعـم الموت ، لكثرة مـا تجرع غصصه . كانت عيناه يقظتين على كل هدف معاد يلوح من بعيد . ابعد كـل هذا يتردد في مواجهة العائلة بقراره ؟ .

يقف القطار عند محطة اسيوط ، يتفرس ملامح الوجوه .. اقتـرب موعـد الوصول ، ولا شك في ان البرقية التي ارسلها اول امس قد وصلت ، الا انه تأخر عـن الموعد الذي حدده ، ظروف خارجة عـن ارادته .. ولا شك ان امه قلقة ، وعمه ، و ... هل نبيلة قلقة ؟ .

دنا منه الرجل المعمم وسأل عن حال الاولاد في الجبهة ، فطمأنه خيرا . والتفت الرجل الى زوجه هامسا :

— اطمئني .. مـا دام الجيش بخير ، يبقى ولدنا بخير .

وابتسمت الام ابتسامة ارتياح .

بدأ يشغل نفسه بسماع احوال الدنيا من الرجل المعمم الراس ، حتى وصل القطار الى سوهاج ، فيهرع نازلا ، تحتضنه الام ، والعم ..

— لم نترك المحطة منذ البارحة .

وفوجىء بأحمد السلاموني يعانقه ، يلتفت الى عمه الذي ابتسم :

— عفا الله عما سلف يا حمدي .

— كدت اقولها ..

واعقب احمد هامسا :

— فضلت استقبالك ، ولو ادى هذا الى قتلي ! .

يد رقيقة تمتد في استحياء ، ترنو اليه بعينيها السوداوين ، كانت عيناها رائعتين حقا ، ضحك حمدي مـن اعماقه :

— خلعت السواد يا نبيلة .

— اليوم فقط والنبي يا حمدي .

وحين انبجست دموع الفرح من عينيه ، قالت نبيلة :

— احس ان روح اخي مصطفى رجعت النهاردة .

اشار حمدي الـى مكان الاصبع الناقصة ، وحكى لها قصة الشظية التي اصابته ، وهـو يهـم بانقاذ جريح .. قالت مبتسمة :

— حمدا لله على السلامة ..

ورغم حلقة السواد التي تحلقت حول عينيها ، اطل شعاع امل من عينيها الضاحكتين .

القاهرة حسني سيد لبيب

سعر بيع مجلة الاديب :

الكويت	٣٠٠ فلس
الاردن	٢٥٠ فلس
مصر	٢٥٠ مليم
عدن	٤٥٠ فلس
قطر	٤ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
السعودية	٣،٥٠ ريال
ليبيا	٣٠٠ درهم
تونس	٣٠٠ مليم
المغرب	٣ دراهم
السودان	٣٠٠ مليم
العراق	٢٥٠ فلس
الامارات العربية	٤ دراهم



جعفر الخليلي

جعفر الخليلي

بقلم عجاج نويهض

* * *

لاول مرة في ايامنا هذه ، على ما نعلم ، نرى اديبا عالما ، في ريان الشباب ، ينتمي الى الحضارة الاميركية ، كتب له ان يعيش ردحا من الزمن في الشرق العربي (العراق) ويدرس العربية باتقان ، ويتكلمها ويكتبها كأبنائها ، ثم يختط لنفسه خطة من شأنها التقريب عن طريق الادب بين الشرق والغرب ، وذلك بأنه رام اختيار شخصية عربية رائدة ، من شخصيات العصر ، تعنى بالادب عامة وبالقصة والرواية خاصة ، ليضع في صاحبها اطروحة بالانكليزية ينال بها درجة الدكتوراه من احدى جامعات اميركا ، فوقع اختيار هذا العلامة الاميركي جون توماس هاميل على العلامة جعفر الخليلي ، الشخصية الادبية المنيرة في العالم العربي ، والخليلي ، كما هو معروف عنه ، جم المجاني المشتهاة ، وحوضه مورود في ميادين الادب على اوسع الآفاق العربية ، وفي الصحافة والقصة خاصة ، والشعر والتاريخ والتراجم وغيرها .

واعتقد ان بمثل هذه الخطى الموفقة الرائقة التي شق طريقها العلامة الدكتور هاميل بأطروحته التي وضعها بالانكليزية وترجمت الى العربية (كما سيجيء) واشير اليها في باب « برقيات ادبية » في عدد يناير — اكتوبر ١٩٧٧ من « الاديب » ، تفتح نوافذ فكرية عقلية بين الشرق والغرب ، وللعرب في القرن العشرين حظ من هذا ، فاذا كان شوقي على جدارته ، لم ينل هو ولا غيره من اساطين ادباء الشرق ، الا رابندرات طاغور ، جائزة نوبل للآداب ، واذا وضعنا هذا في الكفة السلبية ، ففي كفة الايجاب عندنا نحن العرب رصيد راجح مكين بجبران خليل جبران وامين الريحاني وميخائيل نعيمه ومن على دربهم وعلى تفاوت . هذا ونذكر شاعر الاسلام محمد اقبال (ت ١٩٣٨) وهذه الاطروحة التي نحن بصددها شيء جديد في الصلات الفكرية بيننا وبين الغرب . نعم لنا في مدارس الغرب وجامعاته عشرات الالوف بل مئات الوفها من الطلاب ، ولكن ارتشاف العلوم شيء وذيوع كتب جبران والريحاني في الغرب لسنة واحدة فقط ، شيء آخر .

يتضح لنا ان قول شاعر الامبراطورية والتاج البريطاني « ريدارد كبلنغ » (ت ١٩٣٦) ان الشرق شرق والغرب غرب ، قد انتهى بانتهاء الاستعمار . ولا نريد التعريج في هذا المقال على مناح سياسية ، ولكننا ، والحديث عن كبلنغ وشرق وغرب واستعمار وحضارة وما الى ذلك ، نشعر بوجدان حار اننا مضطرون لنقول جهرة ، ان حضارة اليوم في خطر يقترب منا بطريقة لا حسابية بل هندسية ، واننا نصيح بملء فمنا ان تبني اميركا لاسرائيل بالسلاح والمال والسياسة ، والعهد اثر العهد بأن تركض اليها وتنشلها اذا عثرت ، واسرائيل ماضية في العصيان وباقية على الارض العربية المحتلة ، معتدية ، كل هذا سيجر آسيا وافريقيا الى تقليم اظافر اسرائيل . والسبب الذي مع الاسف لم يفهمه العرب بعد ، شيء اسمه لا اسرائيل بل « بروتوكولات حكماء صهيون » التي خبرها عند « اللوبي الصهيوني » في اميركا .

ونرى قبل الكلام عن العلامة الخليلي موضوع الاطروحة ، كما هو موضوعنا الآن في هذا المقال ، انه من المفيد للقارىء الكريم ان نضع بين يديه مزيدا من المعلومات المتعلقة بواضع الاطروحة نفسه الدكتور هاميل ، وبمترجميها الاثنين وهما صدران من صدور الترجمة الى الضاد : العلامة الاستاذ وديع فلسطين (القاهرة) والعلامة الدكتور صفاء خلوصي (اكسفورد) وبواضع المقدمة النفيسة للترجمة العلامة الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، وجميعهم فرسان ميادين ، سيماهم في وجوههم ، وكأنهم كانوا في حطين ، تحت لواء صلاح الدين .

اما الدكتور هاميل ففي الحادية والخمسين ، وهو الغاية في رضى النفس والدماثة وغزارة التهذيب . وهو من ولاية ماساتشوستس ، ونال درجة بكالوريوس في الآداب سنة ١٩٤٨ من كلية بوسطن ثم نال درجة الماجستير في الفلسفة سنة ١٩٥١ من الكلية المذكورة . وكان من

نصيبه ان يضطلع بالتدريس في كليـة بغداد مـن سنة ١٩٥١ ـــ ١٩٥٥ ثم في جامعة الحكمة من ١٩٦٤ ـــ ١٩٦٦ وكان بين ١٩٥٥ و ١٩٥٨ نال درجة الليسانس في اللاهوت.
وفي اثناء تعاطيه التدريس في بغداد ، اقبل على درس العربية حتى اتقنها تكلما وكتابة وقراءة كأحد ابنائها . ثم امضى مدة بعد ذلك في مدرسة اللغات والدراسات اللغوية في جامعة « جورج تون » وتخصص بالدراسات العربية .

وفي سنة ١٩٦٨ انتقل الى جامعة مشغان وانتمى الى دائرة لغات الشرق الادنى وآدابه . وفي سنة ١٩٧٢ احرز درجة دكتوراه الفلسفة في موضوع « جعفر الخليلي والقصة العراقية الحديثة » . هذا بايجاز ما يتعلق بواضع الاطروحة .

امـــا المترجمان العبقريان ، وحقا ثـم حقا هما فرسا رهان ، فقد جاءت شركتهما في ترجمة الاطروحة بسبب : ذلك ان العلامة وديع فلسطين كان قد بدأ الترجمة متبرعا لخله الخليلي ، وهو في موطنه الحصين في القاهرة ، واجتاز في الترجمة شوطا ، ثم استغرقته واجبات رسمية جمة انتاشت وقته انتياشا بحيث لم يعد بوسعه المضي في عمل الترجمة على رغبته الملحة ، فتناولها منه الصفي الآخر للخليلي ، الدكتور صفاء خلوصي (اكسفورد) وتم العمل بحسن التوفيق وحرمة البيت العتيق . ثم توج هذا العمل كله ، بمقدمة كالانجم الزهر ، او باقة من عاطر الزهر ، وضعها سيد النظم والنثر ، وحجة البيان في هذا العصر ، العلامة الاستاذ محمد عبد الغني حسن شاعر الاهرام ، المترنم بشعره في القصور والخيام ، وكل مصر وشام . وفي الاطروحة ما عدا هذه المقدمة ، تمهيد وجيز للدكتور صفاء خلوصي يبين فيه كيف وقعت شركة الفضل والعون بينه وبين الاستاذ وديع فلسطين .

الاطروحة في ما يقرب من ٣٢٠ صفحة ، من القطع الذي هو الى الكبير اقرب . وهي منهجية الاسلوب ، حسنة التقاسيم داخل نطاقها ، محكمة ، مستوفية حقها من كل ناحية . يسير القارىء بمطالعتها سيرا امامه نور وضياء ووراءه اشراق وسناء . طباعة وضاءة . ولكن هناك في رأينا المتواضع ، ملاحظة ان كانت خفيفة المبنى فغير خفيفة في المبنى . وهو خلو الاطروحة من رسوم هذا الرهط المبارك كله ، من وضعت له الاطروحة والمترجمان وواضع المقدمة . اما الدكتور هاميل فرسمه على الغلاف من خارج . ومن واجبنا قبل ان نحط برحالنا بساحة الخليلي الرحبة ، وآل الخليلي في النجف الاشرف وبغداد ان نعرب عن خالص الشكر ، ولا ريب ان جمهرة القراء شركاء في هذا ، لهذا الرهط الذي حلت عليه البركات وهم متفرقون في الآفاق بين بغداد والقاهرة واكسفورد واميركا . وما اجمل التعاون بين عصبة من اهل العلم هذا طرازها ، احرزت خيرا ونفعا ويا نعم ما احرزت وانجزت انجازا .

وعلي شكر آخر من اعماق الصدر ، اوجهه الى اخي العلامة الاستاذ البير اديب ، الذي بحراسة الله تحمل عناء « السنتين » تحمل الجبار الصبور ، لما يقذف به التنور ، اخذ الله بيده في استئنافه اصدار هذا « الاديب » الذي اعتلى من سلم بريد العرب مكانة عزيزة مقدسة . ولا شيء من المشاركة في الشعور افضل من الاقبال على الاشتراك ، وكل قارىء في القاصية والدانية يعلم ما حل بلبنان وادارة « الاديب » ، خاصة من فادح الضرر والخسارة والضياع .

والآن هيا بنـــا الى الجعفر الخليلي ابي فريدة : آل الخليلي في النجف الاشرف اسرة من اوتاد البلاد ، قديمة المنبت والارومة ، في العلم والفضل وجليل التراث ، جيلا فجيلا ، وبيوتاتها من اكرم بيوتات العرب في العراق . « المرجعية العليا » ، هي القمة في الزعامة الروحانية الشيعية . بعد كلمتها لا كلمة ، بضعة اعلام من صدور العلماء من آل الخليلي تولوا مقام المرجعية . وهم جدود مترجمنا جعفر الخليلي الذي عليه الآن مدار الكلام حتى النهاية . من هؤلاء الجلة الكرام جد المترجم المولى الحاج ملا علي الخليلي ، وعم ابيه الحاج مرزا حسن الخليلي ، وبعده جاء السيد مرزا حسن الشيرازي الذي كان من تلاميذه موقظ الشرق السيد جمال الدين الافغاني . واما والد جعفر فهو الشيخ اسد الخليلي ، وكان حاملا مميزات آله في سعة الفضل والادب ، وحسن الخلق والتهذيب . صقلته التجارب والايام فازداد حكمة . كان مضافا الى جميع حسناته ، الطب العربي القديم ، وحذقه لعلـم المنطق . والدة الاستاذ جعفر مـن فضليات السيدات العاملات على سنن الخير والفضيلة ، وكثيرات من سيدات آل الخليلي في النجف ما كن يقفن في التعلم عند حد القراءة بل يتقن الكتابة ايضا .

كانت بيئة النجف في اول هذا القرن ، لم تزل على معالم البيئات السابقة : مجالس عامرة بالفضلاء ، اعشاش كريمة محشوة بهم وهم اوعية الادب وحفاظه ، يروون الاخبار والسير والحوادث . وحلقات مدرسية مكتظة ، يؤمها الشاعر والناثر والمنشد ، وطالب الاستفادة جاء يستمع ويلتقط الدرر المتناثرة من هذا وذاك . الشيوخ الينابيع والعيون الثرة . عادات اجتماعية وان يكن سننها قديما غير انها منطوية على جوهر ولباب من روح العروبة الغضة . الرياضة البدنية ، ودور الضيافة ، والفروسية والذب عن الحياض ، لا سيارة تدب ولا تلفاز ينطفي ثم يهب ، ولا اذاعة ولا سينما ولا تلفون ولا « كاميرا كوداك » ،

ولا قلم حبر ، ولا ساعة زند ، ولا شفرة حلاقة جيلات . ولكن السماء تمطر خيرا وبركة والناس بالله مؤمنون معتصمون .

وليسمح لنا القارىء ان نقول ان الهجرة في هذا المقال وان كانت الى الاستاذ جعفر وهو مدار الكلام ، غير ان عملنا يكون مبتورا ناقصا اذا لم نضع شيئا آخر يتم به القصد ، ويصح ما لنا على الفرات من ورد ، وهو ان نعقد باذن الله ومنه فصلا آخر ، في عدد مقبل عن فقيد الشعر والادب والاريحية والالمعية الاستاذ عباس الخليلي ، اخي الاستاذ جعفر ، رحم الله العباس واطال في عمر الجعفر ، والعباس (مولده ١٨٩٦) اكبر من اخيه بثماني سنين ، وتوفي العباس في طهران سنة ١٩٧٢ وثلثا حياته هناك ، وهو فريد في الرجال وحسن الفعال والمقال والخصال . كان مدبر ثورة النجف سنة ١٩١٨ على الانكليز (ثورة النجف هذه هي غير ثورة العراق الكبرى سنة ١٩٢٠) فلما احاط الجيش البريطاني بالمدينة وحاصرها حصارا ضيقا ، استطاع العباس ان يفر الى ايران بطريقة لعب فيها القضاء والقدر دورهما العجيب . وبقي في ايران حياته كلها في خبر رائع من الالف الى الياء . فاذا قصرنا كلامنا على ترجمة الاستاذ جعفر فكأننا وقفنا في وسط الطريق لان عمل كل من الاخوين كان في بلد ، وعلا العباس في عبقريته علوا كبيرا . فعسانا نستطيع ما وعدنا به وبالله التوفيق . وفضلا عن ذلك فان جعفر يقول ان فضل اخي عباس علي الى ان وقعت ثورة النجف لا يقل عن فضل والدي ووالدتي .

نعود الى الاستاذ جعفر : نعم تعلم العلوم الميسورة وقتئذ ــ ما عدا القرآن الكريم واللغة ــ شيئا من التاريخ والجغرافيا والحساب ، فأول ما لوحظ عليه انه يحب القصة والحكاية ، او ذات النكتة او العبرة التي تدعو الى التأمل . ويروي عنه اخواننا الافاضل في بغداد ، وهم الذين درسوه في هذه الحقبة المبكرة ، انه اول ما مال ، مال الى قصص الانبياء في القرآن الكريم ، ومعلوم ان القصص القرآني المراد به الزجر والعبرة لمن يعتبر شديد الوقع في النفس محرك للعقل . وقال دارسوه ايضا ، ان الناشيء المتطلع جعفر من هنا تابع يروي عطشه الى هذا النوع من القصص ، بانتقاله الى مطالعة التوراة (العهد القديم) الحافلة بهذه المادة . ويستنتج من هذا ، ان هذا الميل القصصي الاول فيه ، راح ينمو مع نمو مداركه ، مدارجا تطوره ، فلما بلغ الثامنة عشرة او ما حواليها ، واشتد ساعده وصار في دنيا العمل العالمي ، وكانت بريطانيا امست بطاشة بالعراق ، وشبت ثورة العراق الكبرى سنة العشرين ، وجندل من الانكليز في بطائح العراق وسائر مواطن السيوف ستون الفا على ادق احصاء والمجندل اثنان : رصاص الثورة الصماء من يمين العراقي الثائر الباسل ، وضربات الشمس الكاوية المحرقة (ولله در رصاص رجاله على الارض ، وشواظ شمسه في السماء) ــ فلما وافى جعفر على هذا العراق ، ولعل الشيوخ في الامة يذكرون هذا جيدا ، وجد نفسه كأنه على موعد مع رسالتين : رسالة وطنه تحت حراب الانكليز ، ورسالة نفسه عن طريق استثمار مداركه ومواهبه . ومتى ما ثارت الساحات ، حينئذ لا تسل عن المدارس والشهادات .

فأول ما كتب من نوع البواكير ، وهو في اول الطريق ، واقتسمت البلاد العربية بعد الحرب وعمها الغليان وتقذف الحمم ، قصة « التعساء » و « حبوب الاستقلال » ، فالاولى مدارها ناحية انسانية كما يدل عنوانها عليها . واما الثانية فيكاد عنوانها يوحي الينا انها شيء من وصفات الاطباء للمرضى ، وهي حقا كذلك ، فكان جعفر كأنه الطبيب ، وراح يستصرخ بني وطنه ان هناك ما يشفيهم من الاستعمار ، هو هذه « الحبوب » ولكنها لا توجد الا في صيدليات معينة ، ففي العراق في صيدلية جعفر ابو الثمن (احد الثائرين ومن اركان الحركة) وفي مصر في صيدلية سعد زغلول (ومصر وقتها تصارع الثورة) وفي الهند عند غاندي (في ابان حركته) وفي ارلندا في صيدلية دي فاليرا (في حركة الشن فين المشهورة) فكان جعفر يستقي من النبعتين : نبعة هواه في القصة ، ونبعة حب الوطن ، وما ابدع اشاراته الى طريق الثورات . وكلا « التعساء » و « حبوب الاستقلال » طبعتا في النجف . ولكن نبعة هذه الحبوب كانت هي الاكثر استيلاء عليه ، فجعل يهيء المناشير الثورية المستصرخة ويطبعها بطريقة ما ويلصقها على ابرز جدران المدينة لتظل حماسة الشعب متقدة ، والبندقية هي

النشيد ، ومشى يوما في مظاهرة شعبية حمراء العين والخنجر مشدود الى وسطه كأنه مقاتل .

برح العباس النجف الى ايران فارا من حبال مشنقة الانكليز ، كما تقدم ، سنة ١٩١٨ تاركا في البيت لاخيه جعفر الذي في الرابعة عشرة ثروة لا يعد لها ثروة : « المقتطف » و « الهلال » و « العرفان » ومجموعات من الصحف المختارة ، وهذا كله تتألف منه « مدرسة » لجعفر ، وهو لوذعي المتابعة والمطالعة والامتصاص . فصارت آفاقه تتسع ، وهو في الوقت نفسه عاكف على بشار بن برد ، وابي نواس والمعري ، ولمعرفته الفارسية اضاف الخيام وحافظ وسعدي ، واستطاع أن يقرأ لمترجم مـن شعر موباسان الفرنسي . ولا ننسى ان ننبه العربي الناشىء ، الى ان العقد الثالث من هذا القرن (١٩١٩ ـــ ١٩٣٠) كان حافلا بالثورات والانتفاضات العربية من الريف المغربي حيث الثائر المنصور الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي ، الى سويداء جبل العرب حيث سلطان الاطرش وصحبه . فأينمـا نظرت فالدخان والصواعق في العراق وسوريا وفلسطين والمغرب وشبه الجزيرة .

* * *

في سنة ١٩٣٢ دخل العراق « عصبة الامم » . وتطورت امور العراق الى حد ما . ونرى مترجمنا جعفر الآن في الثامنة والعشرين ، مستويا في كل شيء : في النضج العلمي والسياسي والادبي ، والقصـة رأس الرمح . والقصة هـو رافع لوائها او من رافعي لوائها . وقال دارسوه ان القصة عنده هي حكاية الواقع ونقل الصورة الذهنية ، وهو يعتبر توفيق الحكيم والدكتور سعيد عبده والدكتور عبد السلام العجيلي صدور كتابها (لا ندري لماذا نسي زعيم القصة محمود تيمور) وروي عن لسان الخليلي قوله ان القليل من قصصه واقعي والكثير خيالي البس لباس الواقع . وسألوه هل له مغامرات في الحب فقال ان هذا الامر لم يشغله كثيرا . وسألوه عن رأيه في ما يسمى بالشعر الحر فنبذه نبذ النواة . والاستاذ الخليلي يقول الشعر الممتاز ولكنه من المقلين فيه ، وله من الاراجيز المتنوعة ما يبلغ فيه التفوق . وهو يحسن الفارسية احسانا تاما لتحصيله لها في النجف ، وقد انتدبته جامعة طهران منذ سنوات هو والدكتور مصطفى جواد لالقاء محاضرات مدارها ما اخذ الشعر الفارسي مـن العربي والعربي من الفارسي وهذه المحاضرات نسقتها الجامعة اللبنانية وطبعتها وقررت تدريسها . واتماما لوصف هذه الزوايا من ذهن الخليلي جدير بنا ان نذكر ان له نظرية مهمة وهي ان العراق كان مهد القصة العربية منذ الزمن القديم . وله راي آخر وهو ان لبغداد من اصل كتاب كليلة ودمنة نصيبا كبيرا ، وهذا الراي افرغه في كتاب لم يزل ضمن كتبه المخطوطة .

* * *

حياته الصحافية : اما في المدرسة فقد اصدر صحفا توزع داخل نطاق المدرسة ، وهذا احيانا كثيرة ما نراه في الطلاب امثاله الذين تضج صدورهم بالاشواق الى ممارسة الكتابة الصحفية المبكرة . والخليلي وهـو في النجف ، وربما كان يتعاطى التدريس في بعض المدارس ، اصدر ثلاث صحف ، اثنتان منهما لم تعيشا سوى فترة قصيرة اكثر من سنة بقليل ، وهما « الفجر الصادق » و « الراعي » واختيار هذين الاسمين يدل على نزعاته ومطامحه . ففي سنة ١٩٣٠ اصدر الجريدة الاولى وسنة ١٩٣٤ الثانية والراجح ان كلتيهما اسبوعية . واما الاولى فأوقفها الخليلي مـن نفسه واما « الراعي » فأوقفتها الحكومة وجعلت تطارده عدة اشهر لانه كان يساند سماحة الامام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء الذي كان صخرة معارضة لا يلين .

ولكن في سنة ١٩٣٥ (هـذه سنة حركة الشيخ عز الدين القسام وصحبه الثوار في شمالي فلسطين رحمهم الله) اصدر (الهاتف) في النجف ايضا وثابر عليها وذب عنها فعاشت حتى ١٩٥٤ ، وفي ١٩٤٨ ، سنة حلول الكبائر في فلسطين ، انتقل « بالهاتف » الى بغداد وتوطننا حتى اليوم . واصدار « الهاتف » في بغداد غيره في « النجف » آفاقا وانطلاقا ، ومعاركة تيارات ومساندة تيارات . ولذلك ثقل على السلطة ان تطيق اكثر مما بوسعها ثم انقلبت الى الشدة المرة فأغلقت « الهاتف » ١٩٥٤ وهنا القى الخليلي عصا الترحال صحافيا وتحول بجهوده الكلية الى القصة والكتب المختلفة والتاريخ والتراجم على ما سنوجزه للقارىء الآن . ولكن يجدر بنا ان نقول ان جريدة «الهاتف» استطاعت في السنوات الست او السبع التي عاشتها في بغداد ان تبلغ من سعة الانتشار والنفوذ ما مكنها من ان تكون عاملا له شأنه في تقوية النهضة الادبية في العراق وخارج العراق ، في القصة ، وفي الشعر ، وفي النقـد الاجتماعي . وهذا كله وفق رغبات الخليلي النظرية وهو يرعاها منذ الصغر . قال الاستاذ ميخائيل نعيمه في الخليلي وهاتفه : « الاستاذ الخليلي صاحب جريدة « الهاتف »

العراقية التي خدمت الادب العربي في وادي الرافدين سنوات طويلة وهو من كبار القصاصين في العراق ومن ادقهم في وصف الحياة الاجتماعية ومعالجة مشاكلها وتصوير واقع المجتمع العراقي بصدق وفي براعة » .

* * *

الخليلي في كتبه وانواعها ووصفها : مجموع مجلدات كتبه المؤلفة المطبوعة لغاية ١٩٧٢ (٤٣) كتابا وهـذا تقسيمها حسب موضوعاتها الكبرى :

١ ــ « هكذا عرفتهم » وهي سلسلة بلغ فيها الجزء الرابع حتى ١٩٧٢ وهي تراجم لمن عرفهم الخليلي وخالطهم ، وهذا بعبارته : « خواطر عن اناس افذاذ عاشوا بعض الوقت لغيرهم اكثر مما عاشوا لانفسهم » وهذا كناية عن تراجم مشرقة الاسلوب والمعنى والتصوير حتى تشعر كانك انت كنت والخليلي معا شاهدتما المشاهد كلها على غير افتراق .. مجموع صفحات المجلدات الاربعة (١٢٤٣) صفحة انطوت على نحو خمسين شخصية عربية عراقية ، فيهم « الاخطل الصغير » من لبنان ونظير زيتون من سوريا .

٢ ــ موسوعة العتبات المقدسة : بهذه الموسوعة تمتلك الحضارة الاسلامية لاول مرة هذه الثروة الثقافية الممتازة الفريدة ، والغريب ان قد مضى العصر الاموي والعباسي والفاطمي والايوبي ، وعلى كثرة التفنن في طرق ابواب العلوم واستحداث موضوعاتها ، فلم يقرب احد من هذا الباب الا جعفر الخليلي في النصف الثاني من القرن ١٤ للهجرة . و « العتبات » التي ضمها المشروع هي : مكة المكرمة ، المدينة المنورة ، القدس الشريف ، كربلاء ، النجف الاشرف ، الكاظمين ، سامرا ، خراسان . ولكل عتبة مجلد واحد او اكثـر حسب الاقتضاء ، ومجموع المجلدات حتى اليوم (١٣) . والعمل انتدب له ارهاط من اهل الكفاية والعلم ، وللخليلي المشارفة العامة علـى التحرير . ولا يخلو المجلد من بعض الصور والخرائط .

٣ ــ كتب القصة وغيرها : كتب نوع (١) و (٢) مجموعها (١٧) كتابا ، تخرج من (٤٣) والباقي (٢٦) كتابا في القصة وما اليها . وكتب القصة الحديثة هذه هي التي ارتفعت بصاحبها الى مرتبة الصف الاول من رواد القصة وكتابها في العالم العربي المعاصر . ولذلك كان الدكتور هاميل مصيبا لما وقع اختياره على الخليلي ليتخذه نموذج كاتب القصة الحديثة في العراق . ودارت قصة الخليلي مدارات مختلفة ، وهي وان كانت فكرتها المركزية العراق ، وجذور القصة العراق ، غيـر اننـا نعلم ان امراضنا الاجتماعية العامة تكاد تكون واحدة ، فاذا عالجت هذه الحالة في العراق فكأنك عالجتها في العالم العربي . هنا نقطة البيكار في قصص الخليلي . ولكننا هنا نحب ان نشير الى كتاب واحد من كتبه لانفراده بميزة خاصة وهـو « كنت معهم في السجن » ، فهذا الكتاب صدرت طبعته الاولى سنة ١٩٥٦ وهو دليل على الغريزة العلمية المغروسة في فطرة الخليلي . فخطر له ان يتعمق في دراسة نفسية المجرم الذي حوكم وزج في السجن ، وهنا يلعب علم النفس دوره في الجناية ، فطلب من الحكومة ان تسمح له ان يدخل السجون في بغداد ويخالط ويجالس المسجونين ، ويحادثهم محادثات حرة . فتم له هذا . ولذلك فأنت ترى ما افيد مطالعة كتاب « كنت معهم في السجن » .

الخليلي خارج اطار الاطروحة : هو اليوم ، بارك الله بعمره ، في الثانية والسبعين . منطلق الوجه بقسماته المتوهجة بشائر وابتسامات وانسانيات . اذا جسم الوفاء في الاصدقاء كان في الخليلي ارقى مثاله . رقة معشر ، وعلو جانب . اذا جالسته الاربع والعشرين ساعة فكأنك في الدقائق اللقائية الاولى معه . حديثه غذاء للعقل والقلب . نكاته البارعة المختارة سواء اكانت من التراث العربي ام من العصري الحديث . اعتاد ان يصطاف في لبنان منذ اربعين سنة ، ولم يخرم معه الاصطياف في « فندق فاروق » الا سنة (١٩٧٦) وكانت هذه في لبنان قطعة من جهنم . وجاء السنة هذه ١٩٧٧ فمكث في الفندق عينه بضعة اشهر وليس في الفندق الا جعفر الخليلي ، ولكن ، نعم ، انه لمصطاف يساوي الفا ، دون انتقاص ذرة من كرامة غيره من النزلاء الغياب .

* * *

فاذا يسر الله لنا ان نضع فصلا في اخيه العباس ، نكون بهذا قد اتممنا بواجب نحو قراء « الاديب » في الآفاق العربية ، اذ نجد في آل الخليلي الفضل مشدودة اطنابه ، والادب عريقة في العراق انسابه ، وكأني بهذين الاخين تقاسما الميادين ، فالعباس كتبت له ايامه في طهران ، وبقي الجعفر في النجف وبغداد ، غير ان جعفرنا الذي فيه هذه الاطروحة ، يلوح لنا بأدبه انه اكثر من جعفر بل انه شيء من دجلة والفرات . للاستاذ جعفر ثلاث كريمات فيهن الادب والعلم ، والخلق الكريم والتهذيب العالي : الاستاذة فريدة والدكتورة ابتسام والسيدة امتثال . ونحيل القارىء على الاطروحة .

وبقي لنا رجاء وامل : نتوقع ان نسمع ان اهل الفضل في العراق طوقوا عنق الخليلي بمهرجان تكريم ، ويتلفت اهل الادب في امة العرب الى حكومة العراق متوقعين منها اكرام من وضعت فيه هذه الاطروحة بتخصيص مرتب له مدى الحياة . والعرب امة المستقبل .

راس المتن ــ لبنان **عجاج نويهض**

اهديك .. ما تملك

أبحث عن ذاتي
أسكرني الحلم
والكوخ الساحر فوق جناح الغيم
أحلم بالانسان العاشق
فوق شراعات الزنبق
يترقرق
ويصلي

فابحث عني
لو أنك أصغيت لأهدابك برهة
وشدوت لترنيمة خفقتها
ودنوت من المرآة
وتطلعت الى عينيك
وسمعت أناشيد ضوئية
تطلق كاللحن الطائر
ورأيت على شرفات الاهداب
زهرة عشق بيضاء
فاعلم اني في ينبوع السحر أضاء
وتهدهدني خمرة عينيك السكرى
تغسلني بقصيدة حب بكر

أبحث عن ذاتي
فابحث عني عبر خلاياك
ان طال البحث صديقي
ووجدت شعاعا مولودا
ينساب رقيقا بين حناياك
ووجدت على القلب ازاهيرا ..
تعشق في النبض صباك
ووجدت بأعراقك نبضة حب ..
تتلو صلوات النساك
ووجدت على ثغرك قطرة عطر ..
تتغنى .. الحب ملاك
ووجدت على خدك تذكار حنان ..
يتطهر في ضوء محياك
فلتذكر أنك أنت رفيقي
وعرفت طريقي
ولتذكر أني عنقود من زهر الليلك
نمت على صدرك في مخمل عشق
غبت بأضلاعك كي أتملك
لكني عبر الرحلة أهديتك ذاتي
أهديتك .. ما تملك

*

عبد الشافي داود

*

القـــاهـــرة



محمد العدناني



بقلم محمد العدناني

* * *

هذه نموذجات أنشرها على صفحات مجلتنا « الاديب » ، رغبة مني في تلقي ملحوظات الادباء الاجلاء ، لأفيد منها في الطبعة الاولى ، او في الطبعة الثانية اذا حملت الي على ظهر سلحفاة :

هو الآخر ، هي الاخرى

يخطئون من يقول : هو الآخر ، وهي الاخرى ، ويرون ان الصواب ان نقول : هو ايضا ، وهي ايضا .

ولكن :

وافق مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في دورة عام ١٩٧٣ ، على قرار لجنة الالفاظ والاساليب الآتي :

« شاع في كتابات بعض المعاصرين استعمال : هو الآخر ، او هي الاخرى في مكان ايضا ، او كذلك ... فيقولون : هو الآخر يؤدي واجبه ، او هي الاخرى تذهب الى المدرسة .

« درست اللجنة هذا الاسلوب ، وناقشته من شتى نواحيه ، ثم انتهت الى انه لبيان المماثلة ، وقد يكون للتبكيت ، ولهذا ترى اللجنة ان التعبير صحيح » .

آسيا ، أسيا

ويطلقون على القارة الكبرى ، التي يقع فيها جزء كبير من العالم العربي ، اسم آسيا (بالمد وتشديد الياء) او آسية (بياء خفيفة) ، والصواب :

(١) آسيا (بياء خفيفة) : ابو الريحان البيروتي ، ومعجم البلدان ، ومستدرك التــاج ، ومعجم بادجر ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

والنسبة اليها : آسي (بكسر السين) وآسيوي (بفتح الياء الاولى) .

(٢) وأسيا (بفتح فسكون) : هذا هو لفظها في الآرامية اليهودية ، وذكر الوسيط ان مجمع اللغة العربية بالقاهرة وافق على استعمالها .

والنسبة اليها اسيوي (بفتح فسكون ففتح) .

اما اسمها في اليونانية فهو : اسيا (بفتح فكسر) .

وقد أخطأ معجم متن اللغة حين اطلق عليها اسم آسية (بمد فكسر ففتح) ، لان من معاني هذه الكلمة :

(١) الخاتنة .

(٢) الدعامة . قال النابغة الذبياني :

فــان تك قد ودعت غـير مذمم   أواسي مــلك أثبتتهــا الاوائــل

الاواسي : جمع آسية .

(٣) الاسطوانة .

(٤) البناء المحكم اساسه .

(٥) آثار القوم اذا ارتحلوا .

ظلة المصباح لا ابجورته

الغطاء الذي يوضع فوق المصباح وحوله ، لتركيز نوره ، وتوجيهه شطر ناحية ما ، يسمونه ابجورة المصباح . والصواب : ظلة (بضم فتشديد) المصباح ، وهو الاسم الذي اطلقه عليه مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في جلسته العاشرة ، بتاريخ ٢٧ آذار ١٩٦٢ (الصفحة ١٢٩ من المجلد الرابع ، من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي اقرها المجمع ، الرقم ١ ، قاعة الاستقبال) .

وجاء في النهاية في غريب الحديث والاثر ، لابن الاثير : وفي حديث كعب بن مالك « انه ذكر فتنا كأنها الظلل (بضم ففتح) » هي كل ما اظلك ، واحدتها : ظله (بضم فتشديد) . اراد كأنها الجبال او السحب .

وفيه ايضا : عذاب يوم الظلة . وهــي سحابة لجأوا الى ظلها من شدة الحر ، فأطبقت عليهم واهلكتهم .

وفيه ايضا : رايت كأن ظلة تنطف السمن والعسل . اي شبه السحابة يقطر منها السمن والعسل .

ومنه الحديث : البقرة وآل عمران كأنهما ظلتان او غمامتان .

الابالة واخواتها

ويخطئون من يسمي الحزمة من الحطب او الحشيش ايبالة ، ويقولون ان الصواب هو : ابالة (بكسر فتضعيف) ، ويستشهدون بالمثل المعروف « ضغث على ابالة » والضغث هو : قبضة من حشيش مختلطة باليابس ، ويعتمدون على ما جاء في التهذيب (حطب) ، والصحاح (حطب) ، ومعجم مقاييس اللغة (حطب) ، والعباب (حطب) ، واللسان (حطب او حشيش) ، والقاموس (حشيش) ، والتاج (حطب او حشيش) ، والمد (حطب او حشيش) ، ومحيط المحيط (حطب) ، واقرب الموارد (حطب) ، والمتن (حطب او حشيش) ، والمعجم الكبير (حطب او حشيش) ، والوسيط (الحزمة من الاعواد ونحوها) . واعني بالحطب والحشيش الحزمة الكبيرة منهما .

ولكن :

نستطيع ان نقول (ايبالة) ايضا ، اعتمادا على الازهري ، ومعجم مقاييس اللغة ، واللسان ، والتاج ، وذيل اقرب الموارد ، الذين قالوا ان معناها هو الحزمة الكبيرة من الحطب . وعلى القاموس ومحيط المحيط اللذين قالا ان معناها هو الحزمة الكبيرة من الحشيش . وعلى شفاء الغليل ، والمد ، والمتن ، والمعجم الكبير الذين قالوا انها تعني الحزمة الكبيرة من الحطب او الحشيش .

وقد خطأ الصحاح والعباب من يقول : ايبالة .

وهنالك كلمات اخرى تحمل معنى الابالة (بكسر فتضعيف) :

(١) الابالة (بكسر الهمزة) : قال اسماء بن خارجة :

لي كل يوم من ذؤالة ضغث يزيد على ابالة

(الذؤالة : الذئب) .

والازهري ، والصحاح ، والعباب ، ومحيط المحيط الذين قالوا انها تعني الحزمة الكبيرة بين الحطب .

واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، واقرب الموارد ، والمتن (مجاز) ، والمعجم الكبير الذين قالوا انها تعني الحزمة الكبيرة من الحطب او الحشيش .

والوسيط الذي قال انها الحزمة من الاعواد ونحوها .

(٢) والابيلة (بفتح فكسر) : المحكم ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، وذيل اقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط . وهؤلاء قالوا ان معناها الحزمة الكبيرة من الحطب او الحشيش ، ما عدا القاموس ومحيط المحيط اللذين قالا ان معناها هو الحزمة الكبيرة من الحشيش ، والتاج الذي قال انها الحزمة الكبيرة من الحطب ، والوسيط الذي قال انها الحزمة من الاعواد ونحوها .

(٣) والوبيلة : اللسان ، والتاج ، واقرب الموارد ، والوسيط الذين قالوا ان معناها هو الحزمة من الحطب ، والقاموس ومحيط المحيط اللذان قالا ان معناها هو الحزمة من الحشيش ، والمتن الذي قال انها حزمة الحطب او الحشيش كليهما .

(٤) والوبيل : الصحاح ، وابن خروف (في شرح الديوان) ، والصاغاني ، واللسان ، والتاج ، والمتن . وجميعهم قالوا ان معناها هو الحزمة الكبيرة من الحطب .

(٥) والابالة (بضم الهمزة) : القاموس ومحيط المحيط اللذان قالا ان معناها هو الحزمة الكبيرة من الحطب ، والمتن الذي قال انها من المجاز ، ومعناها الحزمة الكبيرة من الحطب او الحشيش .

(٦) والموبلة (بفتح فسكون فكسر) : التهذيب ، واللسان ، ومستدرك التاج ، وجميعها تقول انها تعني الحزمة الكبيرة من الحطب .

(٧) والابيل (بفتح فكسر) : المحكم ، واللسان (الحطب والحشيش) ، والمد .

(٨) والبلة (بضم ففتح) : التاج (الحطب) ، والمتن (الحطب والحشيش) .

وانفرد الصحاح بذكر الموبل (بفتح فسكون فكسر) ، ومعناه : الحزمة الكبيرة من الحطب ، وانفرد المتن بذكر :

(أ) الابيل (بكسر فتضعيف الباء المكسورة) .

(ب) والابيل (بكسر فتضعيف الباء المفتوحة) .

(ج) والابول (بكسر فتضعيف الباء المفتوحة) .

(د) والايبال .

وجميعها تعني الحزمة الكبيرة من الحطب او الحشيش .

احب ابا بكر او ابو بكر

ويخطئون من يقول : احب ابو بكر ، واعجبت بأبو بكر ، ويقولون ان الصواب هو : احب ابا بكر ، واعجبت بأبي بكر . والحقيقة هي ان الجمل الاربع صحيحة . وقد درج الناس على التسمية ببعض الاسماء الستة ، وهي : (أب ، وأخ ، وحم ، وفم ، وهن (بمعنى شيء) ، وذو ... بمعنى صاحب) مثل : ابو بكر ، ابو الخير ، ذي النون ، ذي يزن . فاذا سمي باسم مضاف من تلك الاسماء الستة ، جاز في العلم (بفتح اللام) المنقول منها احد امرين :

(١) اعرابه بالحروف ، كما كان يعرب اولا قبل نقله الى العلمية ، مثل : ابو بكر عظيم ، ان ابا بكر عظيم ، اعجابي بأبي بكر عظيم .

(٢) ان يلتزم العلم صورة واحدة في جميع الاوضاع الاعرابية ، وهي الصورة التي سمي بها واشتهر . نحو : كان ابو بكر اول الخلفاء الراشدين ، ان ابو بكر اول الخلفاء الراشدين ، ايمان ابو بكر عظيم . فكلمة (ابو) ونظائرها من كل علم مضاف صدره من الاسماء الستة ، يلتزم حالة واحدة لا يتغير فيها آخره ، ويكون فيها معربا بعلامة مقدرة ، سواء اكانت العلامة حرفا ام حركة على حسب اللغات المختلفة .

ويرى النحو الوافي ان الامر الثاني انسب واولى لمطابقته للواقع الحقيقي ، البعيد عن اللبس ، ولان بعض المعاملات الرسمية لا تجري الا على اساس الاسم الرسمي المعروف .

اما انا فأوثر الامر الاول ، لكي تعرب الاسماء الستة دائما اعرابا واحدا (بالحروف) ، ولنضع سدا بيننا وبين الجملة المألوفة : « في المسألة قولان » .

آتاه على الامر مؤاتاة واتاه على الامر مواتاة

يقول الصحاح والمختار ، ان الفعل : واتاه على الامر يواتيه مواتاة ، بمعنى : وافقه وطاوعه هو من استعمال العامة ، ويقولان ان الصواب هو : آتاه على الامر يؤاتيه مؤاتاة .

والحقيقة هي ان كلا الفعلين صحيح ، والمهموز (آتيته) اعلى ، لانه الاصل . اما الفعل الآخر (واتاه) فهو لغة اهل اليمن وحدهم .

وممن ذكر الفعل آتاه يؤاتيه مؤاتاة : الخليل بن احمد الفراهيدي ، والتهذيب ، والصحاح ، والمحكم ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والحريري في هامش المقامة التفليسية ، والنهاية ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، ومستدرك التاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، ودوزي الذي اكتفى بذكر المصدر (المؤاتاة) ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

وممن ذكر : واتاه يواتيه مواتاة : جاء في الحديث : « خير النساء المواتية لزوجها » وروي الحديث مهموزا (المؤاتية) .

وممن ذكر الفعل (واتاه) ايضا : معجم مقاييس اللغة ، والحريري في المقامة التفليسية ، والاساس ، والنهاية ، واللسان ، والمصباح ، ومستدرك التاج ، والمد ، وذيل اقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

وذكر معجم مقاييس اللغة ان (واتاه) لغة قبيحة في اليمن .

وقال المصباح ان (واتاه) يمنية ، وهي المشهورة على السنة الناس .

وذكر مستدرك التاج ، والمد ، والمعجم الكبير ان الفعل (واتاه) هو لغة اهل اليمن .

لصيقة لا اتيكيت

البطاقة التي تلصق بالشيء ، وعليها من الكتابة والرسم ما يعرف (بضم الياء وتشديد الراء المفتوحة) به ، ويشير الى قيمته ، يطلقون عليها اسمها الفرنسي معربا : الاتيكيت . ولكن :

جاء في المجلد الرابع عشر من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ، التي اعدتها لجنة الحضارات القديمة والوسطى ، بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في البند (ب) ، ووافق عليها مؤتمر المجمع ، في جلسته الرابعة ، بتاريخ ١٠ شباط ١٩٧٢ ، في المادة رقم ٣٥ ، ان المؤتمر اطلق على تلك البطاقة اسم : اللصيقه (بفتح فكسر) .

محاذير لا تأثيرات جانبية

ويقولون : ان لبعض العلاجات تأثيرات جانبية في اجساد المرضى . وفي ترجمة حرفية للاصطلاح الطبي الانكليزي . والصواب : ان لاستعمال بعض العلاجات محاذير .

والمحاذير جمع : محذور ، وهو ما يتقى ويحترز منه .

وفعله : حذره (بكسر الذال) يحذره (بفتحها) حذرا (بفتحتين) . والرجل حذر (بفتح فكسر) ، وحذر (بفتح فضم) ، وحاذورة ، وحذريان (بفتح فسكون فكسر) كما يقول اللسان . والشيء محذور ومحذور منه كما يقول الوسيط . وقد قلت في حرب الطائرات :

ويحتنها ربانها ، فتطيعه وتصبح من جاراتها الانجم الزهر
تطير به عرشا ينيف على السها وان وقع المحذور ، فهي له قبر

مأثورات شعبية ، تراث شعبي ، فولكلور

ويخطئون من يطلق على ما يتركه السلف من الفنون والآداب الشعبية ، اسمه المعرب : الفولكلور .

جاء في المجلد الرابع عشر من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ، التي اقرتها لجنة الفاظ الحضارة « الفاظ الفنون » ، بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ووافق عليها مؤتمر المجمع ، في جلسته الثانية عشرة ، بتاريخ ٢٠ شباط ١٩٧٢ ، في المادة رقم ٣٤ ، ان المؤتمر اطلق على ما تركه السلف من الفنون والآداب الشعبية ، اسم : المأثورات الشعبية والفولكلور .

وعندما ظهرت الطبعة الثانية من المعجم الوسيط ،

عام ١٩٧٣ ، جاء فيها : « فلكلور : مأثورات شعبية ، او تراث شعبي (مجمع) .

تأثم

ويخطئون من يستعمل الفعل تأثم (بفتح الثاء المضعفة) بمعنى : وقع في الاثم ، ويقولون ان معناه :

(١) كف عن الاثم وتجنبه .

(٢) تاب من الاثم واستغفر .

ويعتمدون على ما يأتي :

(أ) جاء في حديث ابن عباس : « كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية ، فلما كان الاسلام تأثموا من التجارة فيها » ، اي : تجنبوا التجارة فيها » .

(ب) تأثم فلان : تحرج عن الاثم وكف (التهذيب ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ، والمحكم ، والنهاية ، والمصباح ، والقاموس ، والمد) .

(ج) تأثم : تاب من الاثم (المحكم والقاموس) .

(د) يتأثم من كذا : يعتزله ، يتحنث منه (الصحاح والقاموس في مادة « حنث ») .

وفي الحديث انه كان يأتي غار حراء فيتحنث فيه .

وجاء في المد ، ومحيط المحيط ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

(هـ) تأثم فلان : (١) كف عن الاثم وتجنبه .

تأثم من الشيء : (٢) تاب منه واستغفر .

ولكن : قال ابن الانباري في كتابه « الاضداد » : قد تأثم الرجل :

(١) اتى ما فيه المأثم (بفتح فسكون ففتح) .

(٢) تجنب المأثم .

والفعل تأثم عنده من الكلمات التي تحمل معنيين متضادين .

وانفراد ابن الانباري بقوله : (تأثم : اتى ما فيه المأثم) ، يجعلني انصح بعدم اللجوء الى استعمال الفعل تأثم بهذا المعنى ، دون ان نخطىء من يضطر الى استعماله ، لان ابن الانباري من اعلم اهل زمانه .

اخذت الكتاب ، اخذت بالكتاب

ويخطئون من يقول : اخذت بالكتاب ، ويقولون ان الصواب هو : اخذت الكتاب من فلان . وكلتا الجملتين صحيحة . والمعنى : تناولت الكتاب وامسكت به . ونقول :

(١) اخذ بيد فلان : اعانه وساعده .

(٢) اخذ بنفسه : غلبه وقهره . وفي حديث بلال يخاطب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، حين غلبه النوم : « اخذ بنفسي الذي اخذ بنفسك ، بأبي انت وامي يا رسول الله » . وقال جرير :

اذا اخذت قيس عليك وخندق باقطارها ، لم تدر من اين تسرح

(٣) اخذ على يده : منعه عما يريد ان يفعله . وروي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال : « اني سمعت رسول الله يقول : ان الناس اذا راوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، اوشك الله ان يعمهم بعقابه » .

(٤) اخذ على فمه : منعه من الكلام .

(٥) اخذ فيه الشراب : اثر فيه .

(٦) اخذ في العمل : بدأ فيه .

(٧) اخذ فلان يفعل كذا : جعل .

(٨) اخذ الشيء : حازه .

(٩) اخذ الحديث : نقله ورواه .

(١٠) اخذ العدو : اسره .

(١١) اخذ الداء فلانا : اصابه .

(١٢) اخذ مقعده ومضجعه : قعد ، ونام . وعن ابي سعيد الخدري في حديث له ، قال : « خذوا مقاعدكم ، فأخذنا مقاعدنا » .

(١٣) اخذ فلانا بلسانه : نال منه .

(١٤) اخذ فلانا بذنبه : عاقبه وجازاه .

وفي الحديث : « من اصاب من ذلك شيئا اخذ (بضم الهمزة) به » . وقال كعب بن زهير :

لا تأخذني باقوال الوشاة ، ولم اذنب ، ولو كثرت في الاقاويل

(١٥) اخذ على فلان الارض : ضيق عليه سبلها . قال جرير :

اخذنا عليكم عيون البحور وبر البلاد وامصارها

(١٦) اخذ عليه كذا : عده عليه وعابه .

محمد العدناني



محمد سليم رشدان

شاعر عبقر في اثاره الخالدة

بقلم محمد سليم رشدان

★ ★ ★

في تاريخنا الطويل ..

اشفق رجل من اعلامنا في الماضي على ما كان للعرب من تراثهم الاسطوري ان ينقرض ، فأقدم على تأليف كتاب سماه : « اصنام العرب » ، وهذا الرجل الغيور من اعلام ماضينا هو ابن الكلبي .

وشاء الله ان يتكرر ذلك في تاريخنا على نحو اجدى .

ويكون ذلك على يد الشاعر العبقري شفيق عيسى اسكندر المعلوف(1) ، وفي ملحمته الخالدة التي احتواها ديوانه « عبقر » في اناشيده ، التي بلغت اثني عشر نشيدا ، ومقدمته الشاملة الضافية ، عن : « الاساطير العربية » .

وفي هذا السفر القيم :

برزت الاسطورة العربية تراثا خالدا له وزنه ، وله قيمته التي لا تنتقص ، فاذا نحن مثل غيرنا لا نقصر في السبق عن اولئك الذين لهم تراثهم الخالد في علم الاساطير (الميثولوجيا) ، وتراثهم الذي طالما اعتدوا به ، وفاخروا به غيرهم من الاقوام .

ولن يضيرنا في حال من الاحوال :

ان يكون ميراثنا هذا يتكيء في كثير من المواقف ، على ما كان للامم المجاورة من ميراث . فيقتبس من الفرس واليونان والرومان والمصريين والفينيقيين والبابليين والهنود .. وغيرهم . فالمعرفة ملك الناس جميعا ، وفي شرعة الوجود ان يقتبسها الناس من بعضهم .

وكان الجهد الذي بذل في ملحمة (عبقر) عظيما ..

فلقد استطاع شاعرنا العبقري ، ان يغوص في اعماق الماضي على قلة ما بين يديه من المراجع ، في هذا المجال بوجه عام ، ثم على قلة ما تصل اليه يده من المراجع العربية وغير العربية ، وهو في مغتربه البعيد في اميركا الجنوبية . وان يلتقط بالمشقة البالغة جذاذات متفرقة من هنا وهناك ، كثيرا ما تتضارب من حولها الرواية ، وكثيرا ما تضطرب المسميات ، وكثيرا ما يجيء النص مبتورا مشوها ، لا حافز يستدرجه ، ولا دافع من ورائه ، ولا وازع يستحث منه الخطى ، ولا هدف واضح المعالم يمتد بين يديه ..

ورغم ذلك كله ..

وبفضل شاعريته المجنحة الخيال ، استطاع ان يضفي على تلك الجذاذات — بكل ما سلف من صفاتها — من وحي الهامه المبدع ، ما جعلها معه اناشيد رائعة اخاذة ، لا تقل في روعتها عن ذلك الذي نقراه في اساطير : الالياذة والاينيادا والشاهنامه وغيرها ..

فاستمع الى شفيق المعلوف في نشيده الاول ، وهو ينطلق بصحبة شيطان شعره ، ليزور معه وادي عبقر . فيرى فيه عالما من الجن والشياطين تسوسه عرافة ساحرة ، ترى بزجر الطير ما لا يرى ، وتؤجج المندل والعنبر لتمارس سحرها فيمن حولها .. الى ان يقول :

عبقر لغز الغيب ، ما وطئت ... اكنافها ، الا لاربابها
فقم وخض لجة ديجورها ... واعمل على تمزيق جلبابها
قم فترى كيف شياطينها ... تطل في عينيك من بابها
وكيف من فيك ثعابينها ... تنسل من فوهة سردابها
وانظر الى الفيلان في وجرها ... تصم اذنيك بتصخابها
حشد من الوحش كأني به ... ترتع من نفسك .. في غابها

ويمضي مع شيطانه ، وقد حلق به في الجو ، ووجهته ذلك العالم المجهول بكل ما فيه من عجائب وغرائب الى ان يقول :

وانطلق الشيطان في الجو بي ... كأنه النيزك او اسرع
حتى تهاوى بي الى موضع ... ما راقني من قبله موضع
غمائم زرق على متنها ... منازل .. جدرانها تسطع
تثور في ابراجها ضجة ... بها يضيق الافق الاوسع
فقال هذي عبقر ما ترى ... وضجة الجن الذي تسمع
جهاتها الاربع مرصودة ... تحرسها زعازع .. اربع

ثم يمضي في انشاده ليصف كيف رأى الابراج الهائلة ،

(1) القيت هذه الدراسة في المهرجان الادبي الذي اقيم في زحلة بلبنان في بداية صيف هذا العام في ذكرى الشاعر شفيق المعلوف .

وقد غص بها السهل والجبل هناك ، وكيف رأى العفاريت هناك وهي كالنمل كثرة ، وبينهم اقزام الجن وهم يملأون سفوح الربا ، وجيشهم جرار قوي ، لا يغلبه غالب ، واذا ما ارادوا زحفا ركبوا اغرب المطيات ، وحملوا من السلاح كل عجيب غريب .

وينتقل الى النشيد الثاني ، وفيه يصف عرافة الجن في عبقر ، وفي اي وضع كانت هناك ، فيقول :

حوم شيطاني على عبقر   يؤذنها بعوده .. وانحدر
وحط بي فيها .. فالفيتني   امام شمطاء ، طواها الكبر
تلف ثعبانا على وسطها   يكمن في نابيه .. كيد القدر
مجامر الصندل من حولها   تائب الجن عليها .. زمر
ودمدمت سخطا وقد هالها   ان يقلق الارواح مرأى البشر
فيا لصوت .. خلت لما دوى   ان اديم الارض تحتي اقشعر

ويمضي يتحدث عن مشاهد عجيبة غريبة في وادي عبقر ، حيث يصف اميرة الجن ويطول به الوصف بما يستغرق معه النشيد الثالث كلـه ، وذلك خلال اغنية الجنية ، التي يبدع فيها ايما ابداع ، واخيرا ينتهي الى النشيد الرابع ، وفيه يتحدث عن (سرحوب) الاعمى صاحب السرداب ، الذي ينتهي منه الى سجين .. وبذلك يقول :

لوح (سرحوب) لنا بعد ما   غادرنا في الضفة الثانية
وسرت في دربي مستشرفا   وادي سجين .. على رابية
واد يمص الحر جدرانه   كانما شبت به الغاشية
جهنم اختارته بابا لها   واطلعت فيه على الهاوية
لاحت على القاحل من جرفها   غراس زقوم بها نامية
تقوت ابليس واولاده   فيصرفون الدهر في عافية

ثم يصف الوانا من الشياطين في سجين ، ومنهم (داسم) شيطان النقائص ، ثم (اعور) شيطان الشهوة ، ثم (زلنبور) شيطان المال ، ثم (مسوط) شيطان الكذب .

ثم ينتقل الى الحديث عن (الهوجل) و (الهوبر) واولهما شيطان الشعر الخبيث ، وثانيهما شيطان الشعر الصالح ، ويطول به الحديث عنهما وعما يمارسانه من ضروب الشعر ، ويستغرق ذلك منه النشيد السادس بأكمله .

وينتقل بعد ذلك الى النشيد السابع ، وفيه يتحدث عن رؤيا (امية بن ابي الصلت) ، الذي كان له قلب نبي ولسان شاعر ، وذلك ان طائرين شقا صدره ، وغسلا قلبه ، ولكنه استعصى على النبوة ، فأعاداه الى حيث كان ، واستفاق من ذلك الحلم ، دون ان يجد دما ولا جرحا .

وفي النشيد الثامن يتحدث عن حكمة الكهان ، ويبدأ بالكاهن (سطيح) ، الذي تقول عنه الاساطير بأنه كان جسما بلا عظم ، فيصفه قائلا :

في هوة الغيلان هل وقفة   ارهب منها .. بين غول وجان
يهبط بي الشيطان بينا انا   مشرد الابصار .. واهي الجنان
انى تلفت بغيطانها ..   تحدجني عينان .. ناريتان

بسحنة غاضرة تدعيها   عن انيب محددات السنان
فلم نزل حتى نزلنا على   كهفين في بابيهما كاهنان
كانما اكسب جلديهما   دم الضحايا صبغة الارجوان
الكاهن الواحد في وسطه   مدينة نار غيدها من دخان
مخلع جرد من عظمه   مذ ربه قال له : كن .. فكان
رخو لو التف على نفسه   لخلته فوق الثرى .. افعوان

وبعد ان يفرغ من الكاهن (سطيح) ، ينتقل الى الكاهن (شق) الذي كان نصف انسان ، فكان بذلك اعجوبة اخرى من عجائب الاساطير ، وقد اطلع على الغيب مثلما اطلع (سطيح) ، وفيه يقول :

والكاهن الآخر ذو خلقة   لم يحبس الخالق فيها احد
قد شق من اعلى الى اسفل   ولم يزل حيا بشطر الجسد
يمجد الله على خلقه ..   بشق وجه ... ل ويد
ما الدهر الا عبث نفسه   وليست الاجيال الا بدد
يا كاهني عبقر هل حكمة   اعدها لتسد بين العدد

ثم يمضي يسرد لنا نشيد الكاهن (سطيح) ثم نشيد الكاهن (شق) ، وفي النشيدين يتحدث كل واحد منهما عن حقيقة ذاته ، ويعلل هذه الحقيقة بما يظهر معه الرضا بقضاء الله فيه .

وينتقل الشاعر الى النشيد التاسع ، وفيه يتحدث عن (غابة الحور) ، ثم عن (ثورة في الجحيم) ، ثم عن نشيد هؤلاء الثائرات من حوريات الغابة ، ويعرض في هذا النشيد من الوصف الرائع لجمال الطبيعة ، وجمال الخلق والابداع في صنع اولئك الحوريات ما تتجلى معه شاعريته الملهمة .

وفي النشيد العاشر ، يتحدث عن العنقاء في خلقها الهائل ، وحجمها العظيم الذي يتجاوز في عظمه كل وصف ، ثم يتحدث عن طائر الرخ وشجرة النبوءات ، وفي ذلك يقول :

ودوحة باسقة خلتها   ان لها الشهب وريقات
مناة والعزى تحوطانها   وهبل الاكبر واللات
في عبقر مادت فمادت لها   في عالم الانس .. خيالات
الرخ مشدود الى جذعها   فما له هيهات .. افلات
كانما جذورها في الثرى   لمخلب الرخ .. حبالات

ثم يمضي في وصفه لمحرقة الفينق ، الذي يحرق ذاته اذا افرخ ، ثم ينبعث ثانية من خلال الرماد ، ثم يصف تلك الاوكار الهائلة التي تعيش فيها تلك الطيور الهائلة كما تصفها الاساطير .

ويصل الى النشيد الحادي عشر ، وفيه يسرد اسطورة (نصر بن دهمان) ، الذي اعادته الاساطير بعد ان ادرك الشيخوخة الى الشباب ، فنبتت اسنانه ثانية ، وعادت اليه فتوته ، وكل ذلك بلمسة من (الشعرى الغميصاء) اخت (الشعرى اليمانية) التي عبرت المجرة لحاقا بحبيبها ، فسميت بذلك (العبور) وسميت اختها (الغميصاء) لبكائها الطويل حزنا على فراقها ..

وفي هذا النشيد كذلك ، يتحدث عن اناهيد ، الفاتنة الحسناء التي احبها ذات يوم هبل الاكبر ، فاحتملها معه الى السماء ، لتطل على الناس من هناك ، باسم كوكب الزهرة . وفي ذلك يقول :

كانت اناهيد فتونا متى غفا بفرعيها الفتى يسكر
مر على خيمتها فارس تبارك الطيب الذي ينشر
فاختلجت للحب اعماقها واهتز منها الغصن المثمر
ثلاث ليلات تقضت كما لو هن ظل الرمح او اقصر
حتى اذا مالت باجفانها يد الكرى لطول ما تسهر
ايقظها ركض جواد جرى من بابها محمحما .. يدبر

وتهب على اثره مذعورة ملتاعة ، وتعدو لاهثة خلف جواده لعلها تلحق به ، وظلت تضرب في البيداء على اثره ، حتى انهكها السير ، وعند ذلك :

لاح لها من جانب المنحنى مارج نار ضوءه يبهر
وسيد كان محبوبها اطل من مقلته ينظر
صاح بها : ويك كفى وارجعي ما انا لا هبل الاكبر

ومضت اناهيد تستعطفه حتى رق لها قلبه ، وعند ذلك مال عليها قائلا :

حبك يا هذي كما شئته قلب السموات به اجدر
وغل في صدر العلى حاملا روح اناهيد لظى مسعر
وشع من بعد خلال الدجى على البرايا كوكب نير
تلك اناهيد لها من عل عين على اهل الهوى تسهر

وافتقد الناس بعد ذلك اناهيد الجميلة ، فاذا هي جثة هامدة وعيناها شاخصتان الى السماء ، واذا هي كما قال الشاعر :

يشخص في نجم العلى جفنها كانه بالنجم معقود
صاحوا : اناهيد .. وراح الصدى يزقو : اناهيد .. اناهيد
وكان في الارض لها ماتم وفي مقاصير العلى عيد

ثم يتحدث بعد ذلك عن نسور لقمان السبعة ، التي عاش بمقدار اعمارها حين حقق له رب الكعبة طلبته بها ، وكان آخرها (لبد) ومعناها الدهر . كما يتحدث بعدها عن شكاة خرافة ، الذي ضربت بحديثه الامثال لما فيه من افراط في الخيال .

ويصل اخيرا الى النشيد الثاني عشر ، وفيه يقف بالقارىء على حدود عبقر ، ثم يصف له رفات العبقريين هناك ، ثم يقف طويلا مع همس الجماجم ، ويصف ما تتحدث به عن احلام اولئك الشعراء ، التي ما زالت تحمل الى الناس الامل والاحلام العذاب .

ذلك هو ديوان عبقر ..

الذي حوى تلك الملحمة الخالدة ، فدون فيها لأمته ما غفل الناس عنه ، وابقى لهم فيها تراثا خالدا ، كان يحيط به من ضباب الاهمال ما يوشك ان يطمس آثاره ويخفي معالمه ، ويذهبه بددا دون ان يلتفت اليه احد .

وبهذا الجهد القيم

استطاع ان يسبق غيره الى انجاز له قيمته ووزنه ، فاستحق عليه من امته كل ثناء وتقدير .

ولم يكن ديوان عبقر هو كل ما وقع بيدي من آثار هذا الشاعر ، فلقد وصل الي ديوانه : « سنابل راعوث » ، وفي هذا الديوان طالعني شفيق المعلوف في معظم دواوينه : (نداء المجاذيف) و (لكل زهرة عبير) و (على سندات الخليل) و (عيناك مهرجان) . فقد اختار من هذه الدواوين كلها . وضمنه ديوان : « سنابل راعوث » ، مضافا اليه قصائد جديدة ما بين مترجم وموضوع ، وذلك الى جانب ما اختاره من ديوان (عبقر) .

وفي هذا الديوان تطالعك في صدره قصيدته : « نداء المجاذيف » التي يصف فيها الراحلين عن الوطن فيقول :

مجاذيف عبر اليم طاب لها صدى يرجعه صفق من الموج هادىء
متى رحن يشققن العباب تصاعدت من القعر تجري خلفهن اللآلىء
يدفعن فتيانا تذريهم النوى على كل افق والرياح تناوىء
فوالله ما ادري آعند وداعهم تئن الصواري أم تئن المرافىء
اطلوا بوجه من كوى السفن واجم كاني بهم دمع بكته الشواطىء

وفي هذه الصورة يسجل فيها اروع مشاعر الحنين التي يحس بها المواطن النازح ، وهو يغترب عن وطنه الى بعيد الآفاق ، وقد اطل على شواطئه الحبيبة من كوة السفينة بوجهه الواجم ، فكان في نظر ذلك الشاعر دمعة ذرفها الشاطىء ، فسالت بها مياه البحر . وهو في « غمامة هيروشيما » يسجل اروع مشاعر الانسان .

وفي قصيدة « نداء البعيد » يعتز بأمجاد لبنان ، من الملك (حيرام) ، الى (صيدون) وهي تشهر سيف الفتوح ، الى (ملكار) ينطلق من قلب (صور) يجوب البحار ، الى معاطف برفير صور مصبغة بالارجوان ، الى نور الحرف الذي شع من لبنان ، ودق علما عند كل بحر ..

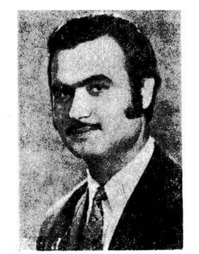
وفي قصيدة (غرناطة) يفخر بأولئك البدو من ربيعة ومعز ، الذين انشأوا هناك من الحضارة ما تحدث عنه اشبيلية وقرطبة والمعاهد الزهر ، وطليطلة وغرناطة وسواها ، بل يحدث عنه قصر الحمراء والسقوف والجدر والفسيفساء الرائعة الى ان يقول :

ابوابك الزهر من فتوحهم خطت عليها الآيات والسور
حروف مجد في روقك اعتنقت كانهن الرماح تشتجر

انه شفيق المعلوف الشاعر اللبناني العربي الانسان . الذي افتخر بلبنان ، كما فاخر بعروبته ، وبرزت مشاعره الانسانية الى جانب ذلك في كل مناسبة . ولسوف تبقى آثاره الخالدة ، وآثار امثاله من ادباء لبنان وفيهم والده واخوته ، سوف تبقى حاجزا منيعا في وجه كل دعوة الى غير سبيلهم الذي سلكوه .

فرحم الله شفيقا وطيب ثراه ، وله الخلود والبقاء فيما ترك من آثار قيمة ، وانها لجديرة بأن تخلد ذكره على الدهر .

محمد سليم رشدان
عمان — الاردن (ص.ب ١٧٥٥)



فوزي عطوي

القضاء الدولي والاقليمي
في ضوء تطور فكرة المسؤولية الدولية

بقلم فوزي عطوي

***

تمهيد : القضاء والمسؤولية الدولية

في عصر ما برح المجتمع الدولي فيه ينتهج سياسة السمك الكبير والسمك الصغير ، فيزرى اقوياؤه بحقوق ضعفائه ، ويجعلون لحوار المصالح والغرائز القدح المعلى على كل حوار صادر عن العقل والقلب ، يتساءل المرء حقا : الى اي مدى ترسخت فكرة المسؤولية الدولية ، ناهيك بقواعد الحقوق الدولية العامة ، في اذهان الدول ، حتى يستطيع ابناء البشر ان ينظروا بعين التفاؤل والامل الى المستقبل الآمن الذي طالما وعدتهم به المواثيق والعهود الدولية ، وحتى يعتقدوا بالتالي بجدوى القانون في مجال التعامل بين الدول ، او في مجال البحث عن حل سلمي عادل لفض المنازعات التي تنشب فيما بينها .

ولئن كان الانسان المعاصر يشعر بتلك الزئبقية المخيفة التي ترين على العلاقات الدولية ، فتعرض المجتمع الدولي لحرب باردة حينا او لحرب ساخنة حينا آخر ، او لحرب من النوعين معا في بعض الاحوال ، فهو رغم كل شيء ما يزال يحيا على امل ان تحل قوة الحجة محل حجة القوة ، وان تتعزز سيادة القانون الدولي عن طريق تعزيز فعالية القضاء الدولي والقضاء الاقليمي ، انطلاقا من حجر الزاوية الذي لا غنى عنه ، في علاقات الدول ، عنيت به الالتزام الكامل بالمسؤولية الدولية .

اننا ، اليوم ، نتطلع الى اعلى مستويات القضاء في لاهاي ، حيث تقوم محكمة العدل الدولية فنحس ذلك الاحساس الممتزج بلون من المباهاة الانسانية الرفيعة بأن دول العالم استطاعت ، ولو على الصعيد النظري ، ان ترسخ فكرة اللجوء الى القانون في حل منازعاتها ، بالطرق السلمية ، لكننا لا نلبث ان نشعر ، بعد قليل ، بغصة من يصدم الواقع المرير احلامه العذبة الكثيرة ، فنرانا منساقين انسياقا الى اعادة عجلة التاريخ القضائي الدولي القهقرى ، لنتبين مراحل تطوره ، والشوائب التي اعترت قيام مؤسساته ، والاسباب العميقة التي لا تزال تحول دون المزيد من فعاليته ، بحيث لم تستطع نداءات الحق في العالم ان تخرس ، في مكان ، اصوات المدافع .

فعلى ضوء ما تقدم سوف نلتزم في بحثنا هذا خطة دقيقة واضحة ، نحرص فيها على الايجاز قدر الامكان ، فنتناول بالبحث :

١ — فكرة المسؤولية الدولية .
٢ — المسؤولية الدولية والحلول السلمية التحكيمية للمنازعات .
٣ — المسؤولية الدولية والقضاء الدولي .
٤ — المسؤولية الدولية والقضاء التحكيمي : محكمة العدل العربية .
٥ — مستقبل القضاء الدولي .

اولا : فكرة المسؤولية الدولية

يتألف المجتمع الدولي ، بصورة رئيسية ، من الدول التي تتمتع بالحقوق وتلتزم بالواجبات ، من خلال تعاملها فيما بينها . وهي ، لهذا السبب ، تعقد الاتفاقيات وتبرم المعاهدات ، حرصا منها على حسن انتظام العلاقات الدولية ، ولا سيما متى استقر في قناعة كل منها ضرورة التلازم المطلق بين اقتضاء الحق واداء الواجب . لذلك كان كل اخلال من احدى الدول بواجباتها تجاه اشخاص القانون الدولي العام . وكل انتقاص من حقوقها ، الشرارة الاولى التي قد تؤدي الى قيام منازعات وحروب ، ان سهل تحديد بدايتها ، فمن الصعب جدا تحديد تاريخ لنهايتها ، وتجنيب العالم محاذيرها ومخاطرها ، فضلا عما تتركه من نتائج رهيبة ، وما تتسبب به من خسائر جسام في ارواح البشر وممتلكاتهم ، وما تصدعه من قيم مثلى جهدت الانسانية الجهد كله لتكريسها وتأكيد معانيها في ضمائر الشعوب .

الحقوق والواجبات الدولية

ومن المتفق عليه ان من اهم حقوق الدول : حق البقاء (الذي يشمل حق الدفاع الشرعي وحق منع التوسع العدواني) ، وحق الحرية ، وحق المساواة ، وحق الاحترام المتبادل .

كما ان من المتفق عليه كون اهم الواجبات القانونية للدول ، هي على العموم تلك التي اشير اليها في مشروع اعلان حقوق الدول وواجباتها الذي وضعته لجنة القانون الدولي التابعة لهيئة الامم المتحدة :

١ ـ مراعاة احكام القانون الدولي في علاقة كل دولة بغيرها .

٢ ـ تسوية الخلافات الدولية بالوسائل السلمية ، وطبقا لاحكام القانون والعدالة .

٣ ـ الامتناع عن التدخل في الشؤون الداخلية او الخارجية للدول الاخرى .

٤ ـ الامتناع عن مساعدة اية دولة تلجأ الى الحرب او الى اي استخدام آخر غير مشروع للقوة ، وكذلك اية دولة تتخذ الامم المتحدة ضدها اجراء من اجراءات القسر .

٥ ـ الامتناع عن الاعتراف بأية زيادات اقليمية قد تحصل عليها احدى الدول نتيجة للحرب او اي استخدام غير مشروع للقوة .

٦ ـ الامتناع عن تشجيع الثورات الاهلية في اقاليم الدول الاخرى .

٧ ـ ضمان ان تكون الاحوال في اقليم كل دولة على نحو لا يهدد السلام والنظام الدولي .

٨ ـ معاملة جميع الاشخاص الخاضعين لولاية الدولة على اساس احترام حقوق الانسان والحريات الرئيسية لهم جميعا دون تمييز بسبب الجنس او اللغة او الدين .

٩ ـ تنفيذ الدولة بحسن نية لالتزاماتها الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولي .

١٠ ـ عدم الالتجاء الى الحرب او اي استخدام غير مشروع للقوة .

يضاف الى ما تقدم ان ثمة واجبات ادبية تلتزم بها الدول ، وتقوم على فكرة العدالة او الانسانية او المجاملة ، ومنها :

١ ـ معاونة الدول التي تصاب باحدى النكبات الطبيعية كالوباء والزلازل والطوفان .

٢ ـ التعاون في مجال تحسين الاوضاع الصحية ، لتخفيف محاذير الاوبئة والامراض .

٣ ـ التعاون في مجال تحسين مستوى معيشة الافراد ، من الناحيتين المادية والروحية .

٤ ـ التعاون لصد موجات الاجرام وتسهيل عملية تبادل المجرمين .

٥ ـ ايواء السفن الاجنبية ، في حال هبوب زوابع واعاصير بحرية ، او في حال اصابتها بعطب ما .

٦ ـ مراعاة مبادىء الاخلاق العامة والايفاء بالوعود التي تصدرها الدول ، والاعتدال في ممارسة حقوقها او استخدام نفوذها .

ترتب المسؤولية الدولية

ونبادر ، بادىء ذي بدء ، الى التأكيد على ان اخلال الدول بواجباتها الادبية لا يؤدي الى اكثر من استهجان الرأي العام العالمي ، او الى معاملتها بالمثل . ومن هنا انتفاء فكرة المسؤولية القانونية الدولية في حال الاخلال بمثل هذا النوع من الواجبات الادبية ، وبالتالي انحصارها في حالة الاخلال بالواجبات القانونية التي ذكرناها منذ قليل .

في ٢٦ تموز ١٩٢٧ ، اصدرت محكمة العدل الدولية الدائمة حكما جاء فيه(1) : « من مبادىء القانون الدولي ان كل اخلال يقع من دولة بأحد تعهداتها ، يستتبع التزامها بالتعويض الملائم ، وان هذا التعويض امر متلازم مع عدم القيام بالتعهد ، والالتزام به قائم من نفسه ، دون حاجة الى ان يكون منصوصا عليه في الاتفاق الذي يحصل الاخلال به » .

وبهذا الحكم انهى القضاء الدولي مسألة الخلاف الذي دار بين فقهاء الحقوق الدولية العامة حول التناقض بين سيادة الدولة ، بصورة مطلقة ، وبين تحملها للمسؤولية القانونية عن اعمالها .

لقد ذهب بعضهم الى ان الدولة ، بما لها من السيادة هي المرجع الصالح للفصل فيما يترتب على تصرفاتها ، وان اصلاح الاضرار او التعويض عنها ، مرده الى رغبة الدولة وحدها ، فهي التي تقوم به بمحض اختيارها .

بينما ذهب آخرون الى ان السيادة المطلقة غير واردة في المجتمع الدولي ، وانها فكرة تتناقض مع تنظيم الحياة الدولية ، اذ يصبح مؤداها السماح للدول بأن تفعل ما تشاء ، وتعتدي كما تشاء ، وتنتهك حرمة القانون وحقوق الغير كما تشاء ، دون ان يكون لاحد حق مناقشتها ، الحساب عن ذلك ، ودون ان يوقفها عند حدها سوى استعمال القوة .

والحقيقة التي لا شك فيها ان الدولة في مجال تحمل مسؤولياتها هي كالافراد سواء بسواء . ومسؤولية الفرد لا تترتب الا اذا توفرت له حريته ، وبالتالي فلا تكون مسؤوليته مترتبة الا بمقدار ما يكون حرا في تصرفاته . وكذلك الدولة ، فان مسؤوليتها لا تتناقض مع سيادتها ، لا بل هي على العكس نتيجة منطقية لتمتعها بالسيادة ، في حين ان الدولة ناقصة السيادة لا تترتب عليها المسؤولية الا بمقدار ما يكون لها من الحرية في اجراء التصرف .

ومن هنا ، افضاء المسؤولية عن الضرر الى الالتزام بالتعويض عنه . وقد تأكد هذا المعنى في نص المادة الاولى من المشروع الذي اعدته لجنة القانون الدولي التابعة للامم المتحدة اذ ورد فيها(2) :

---

(1) الحكم الثامن ـ المجلد أ ـ ب من مطبوعات محكمة العدل الدولية الدائمة ، ص ٢١ .

(2) الكتاب السنوي للجنة القانون الدولي ١٩٥٨ جزء ٢ ص ٧٣ الصادر عن هيئة الامم المتحدة .

« ان المسؤولية الدولية للدولة ، بسبب الاضرار التي تصيب اشخاص الاجانب واموالهم في اقليمها ، مؤداها الالتزام بتعويض هذه الاضرار متى كانت نتيجة افعال ايجابية او مواقف سلبية منافية للالتزامات الدولية ، اتخذتها سلطاتها او موظفوها . ولا يجوز للدولة ان تحتج بنصوص قانونها الداخلي لكي تفلت من المسؤولية الناتجة عن الاخلال بالتزام دولي او عن عدم تنفيذه »(٣) .

عناصر المسؤولية الدولية

نستنتج من النص السابق ، ومن نصوص كثيرة غيره ، ان ترتب المسؤولية الدولية يقوم على اساس ارتكاب الدولة لعمل غير مشروع Acte illicite بالنسبة للقانون الدولي ، وهذا هو اول عنصري المسؤولية الدولية . وارتكاب العمل غير المشروع قد يكون نتيجة افعال ايجابية ، اي القيام بعمل مخالف للقانون الدولي Commission ، وقد يكون نتيجة افعال سلبية ، اي الامتناع عن عمل كان يجب على الدولة ان تقوم به omission ، وهو ما يطلق عليه ، قانونا : « الارتكاب عن طريق الاهمال او الامتناع » .

واما ثاني العنصرين ، فهو ارتكاز المسؤولية الى الارتكاب غير المشروع بالنسبة للحقوق الدولية العامة ، لا بالنسبة لاي قانون آخر . ولا بد من الاشارة هنا الى انه لا عبرة للقانون الداخلي في هذا الصدد ، اذ قد يكون عمل الدولة متفقا مع احكام قانونها الداخلي ولكنه مخالف لاحكام القانون الدولي . وفي هذه الحال ، يتفق الفقهاء على ان ذلك لا يلغي المسؤولية الدولية للدولة المرتكبة .

شروط المسؤولية الدولية

ولكن ، ما هي القاعدة القانونية التي تستند اليها المسؤولية الدولية ؟

ونسارع فنجيب : انها القاعدة ذاتها التي تستند اليها المسؤولية في القانون الخاص : ان هنالك ، اولا ، قاعدة فقهية شهيرة تقول : « لا ضرر ولا ضرار والضرر يزال » وان هناك ، ثانيا ، قاعدة قانونية خاصة تقول « ان كل فعل غير مشروع يتسبب عنه ضرر للغير ، يوجب التزام فاعله باصلاح هذا الضرر » .

على ضوء ذلك ، ينبغي قيام ثلاثة شروط لاجل ترتب المسؤولية الدولية :

١ — ان يكون ثمة ضرر جدي بحق دولة ما ، لا فرق في ذلك بين الضرر المادي ، كالاعتداء على حدود الدولة او احدى سفنها ، وبين الضرر الادبي ، كانتقاص احترامها ، او امتهان احد ممثليها .

٢ — عدم مشروعية العمل ، ايجابيا او سلبيا ، كما ذكرنا في موضوع عناصر المسؤولية ، اما اذا كان الضرر نتيجة لمباشرة الدولة احد حقوقها الطبيعية ، دون ما تعسف ، وفي حدود القانون الدولي ، فلا مسؤولية دولية عليها آنذاك ، واما ما تقوم به الدولة ، اعمالا منها لفكرة الضرورة فالغالب هو القول بترتب مسؤوليتها والتزامها بالتعويض عما سببته من اضرار .

٣ — ان يكون ثمة خطأ صادر عن الدولة المشكو منها ، لا فرق في ذلك بين الخطأ المتعمد او الخطأ الناجم عن اهمال . واما اذا انتفى هذا الخطأ وكان الضرر بسبب قوة قاهرة ، او نتيجة خطأ من الدولة الشاكية نفسها ، فلا تقوم المسؤولية على الدولة المشكو منها ، في تلك الحال(٤) .

اسناد العمل للدولة المسؤولة

وغني عن البيان انه لا فرق في قيام هذه المسؤولية ، وعند تحقق الشروط المذكورة ان يكون العمل صادرا عن الدولة من جراء اعمال تشريعية ، او اعمال قضائية ، او اعمال تنفيذية :

أ — اما مسؤولية الدولة من جراء الاعمال التشريعية، فتتحقق كما في قيام المجلس التشريعي بسن قانون داخلي مخالف للقانون الدولي او الالتزامات الدولية ، او في احجامه عن سن قانون يلغي القانون الداخلي المخالف . وقد اشرنا في هامش سابق الى راي محكمة العدل الدولية الدائمة بتاريخ ٤ شباط ١٩٣٢ بهذا الشأن .

ب — اما مسؤوليتها من جراء الاعمال القضائية ، فلأن استقلال القضاء هو مبدأ يشكل قاعدة داخلية وحسب — فليس لمحاكم دولة ما ان تخل بالمساواة في معاملة المواطن او الاجنبي ، طالما انهما يمثلان امامها — ويخضعان لاحكامها، والا عد ذلك استنكافا عن الحق Deni de justice يعرض الدولة للمسؤولية الدولية(٥) .

وتأكيدا لهذا المعنى ، فقد جاء في المادة السادسة من قرار مجمع القانون الدولي في اجتماع لوزان ١٩٢٧ :

« تكون الدولة ايضا مسؤولة ، اذا كان في الاجراءات التي اتبعت امام قضائها او في الحكم الصادر منه ، اخلال ظاهر بالعدالة وعلى الاخص اذا كان الدافع على هذه الاجراءات او هذا الحكم ، شعور الكراهية بالنسبة للاجانب بوصفهم كذلك او باعتبارهم رعايا دولة معينة بالذات » .

ج — واما مسؤولية الدولة ، اخيرا ، من جراء الاعمال التنفيذية ، فهي اهم واشهر انواع المسؤولية المترتبة على الدولة . وقد تترتب ، كما اوضحناه غير مرة ، بسبب القيام بعمل غير مشروع دوليا ، او الامتناع عن

(٣) في الراي الاستشاري الصادر بتاريخ ٤ شباط ١٩٣٢ عن محكمة العدل الدولية الدائمة (قضية معاملة البولونيين المقيمين في دانزيغ) ورد ما يلي : « ولا يحق لدولة ان تتسلح آزاء دولة اخرى بدستورها الخاص كي تتملص من الالتزامات التي تفرضها عليها قواعد الحقوق الدولية او المعاهدات المرعية الاجراء » .

(٤) المرجع السابق : الكتاب الاول — ص ٥١٦ — ٥١٧ .

(٥) يراجع بحث بعنوان Charles de Visscher «Le déni de justice en droit international» في مجموعة محاضرات لاهاي (اكاديمية القانون الدولي) ١٩٣٥ — ج ٢ — ص ٤٠٣ .

القيام بعمل متوجب ، دوليا ، متى ارتكبه احد موظفيها المدنيين او الدبلوماسيين او العسكريين او احدى اداراتها او احدى مؤسساتها ، وذلك ايا كان مستوى الموظف المرتكب ، وسواء كان مرجعا مختصا او غير مختص ، وسواء كانت الحكومة فعلية او قانونية ، معترفا او غير معترف بها ، والشرط الوحيد هو كون العمل غير المشروع وظيفيا ، وليس شخصيا . اما النظرية القديمة فكانت توجب ان يكون العمل صادرا عن موظف كبير ، او عن مؤسسة ذات مستوى رفيع .

حالات المسؤولية الدولية

وسواء كان الضرر ناجما عن سلطة تشريعية او قضائية ، او تنفيذية ، وعن موظف كبير او صغير ، وعن مرجع صالح او غير صالح ، فيبقى ان للمسؤولية الدولية كما للمسؤولية الفردية ، حالتين اثنتين :

اولاهما : المسؤولية التعاقدية .

وثانيتهما : المسؤولية التقصيرية .

١ ـ اما المسؤولية التعاقدية ، فتكون نتيجة لاخلال الدولة بأحد التزاماتها التعاقدية التي التزمت بها مع الدول الاخرى ، بموجب المواثيق والمعاهدات الدولية . وقد سبق ان اشرنا في سياق هذا البحث ، الى الحكم الثامن الصادر عن محكمة العدل الدولية الدائمة والذي يتضح منه صراحة ان الالتزام بالتعويض يترتب حتى ولو لم ينص على ذلك في الميثاق او المعاهدة التي جرى الاخلال بأحكامها .

هذا بالنسبة لما تعقده دولة مع دولة .

اما ما تعقده الدولة مع الافراد ، فينبغي النظر فيه للصفة التي اتخذتها الدولة ، عند ابرامها العقد : فان كانت ارتبطت بالعقد ، بصفتها شخصيا معنويا عاديا ، فلا تثار مسؤوليتها الدولية ، ويبقى القضاء العادي هو المرجع الصالح للنظر في الخلاف بينها وبين الافراد . اما اذا ارتبطت الدولة بالعقد بصفتها سلطة عامة ، فمسؤوليتها الدولية مترتبة حكما .

وقد تأكد هذا المعنى في نص المادة ٧ من مشروع لجنة القانون الدولي (وقد اشرنا اليه من قبل) ، اذ ورد في فقرتها الاولى :

« تسأل الدول عن الاضرار التي تصيب الاجنبي نتيجة عدم تنفيذ الالتزامات المتفق عليها ، في عقد مبرم مع هذا الاجنبي او في امتياز منحته اياه الدولة ، اذا كان عدم التنفيذ هذا يصل الى حد اعتباره فعلا او امتناعا مخالفا للالتزامات الدولية للدولة » .

٢ ـ واما المسؤولية التقصيرية ، فتكون نتيجة الافعال التي تقع من احدى السلطات او الهيئات العامة في الدولة ، اخلالا بأحكام القانون الدولي العام ، حتى ولو تعارضت كما اوضحنا من قبل ، مع احكام القانون الوطني . واذا كان من المتفق عليه ان هذه المسؤولية مترتبة ، عند ثبوت قيام الموظفين او المؤسسات بالعمل غير المشروع . فما هو مدى ترتب هذه المسؤولية على الدولة اذا قام بالعمل ذاته ، بعض الافراد الذين لا صفة رسمية لهم ؟ .

بديهي ان امثال هؤلاء لا يعملون باسم الدولة ، ولا لحسابها وارتكابهم يكون شخصيا لا وظيفيا ، وبالتالي فلا مسؤولية دولية على الدولة الا اذا ثبت ان تشريعها يخلو من نصوص تعاقب على القيام بالاعمال المشكو منها او اذا كان في تشريعها نص صريح ، ولكنها اهملت البحث عن الفاعل لمحاكمته ، او لم تيسر للجهة المجني عليها سبيل الوصول الى التعويض عما لحقه من اضرار(٦) .

ولكن على الرغم من ان المادة العاشرة من مشروع لجنة القانون الدولي التابعة للامم المتحدة تنص على ان « تسأل الدولة عن الاضرار التي تصيب الاجانب نتيجة افعال الافراد اذا كانت سلطاتها او موظفوها قد اهملوا اهمالا ظاهرا في اتخاذ الاجراءات التي تتخذ عادة لمنع او عقاب مثل هذه الافعال » .

فان المادة الثالثة من قرار مجمع القانون الدولي (لوزان ١٩٢٧) نصت على انه « لا تسأل الدولة عن الاعمال الضارة التي تقع من الافراد الا اذا كان الضرر ناشئا عن تقصيرها في اتخاذ الوسائل المناسبة التي يلجأ اليها عادة في الظروف المماثلة لمنع مثل هذه الافعال او للعقاب عليها » .

وايا ما كان موقف فقهاء القانون الدولي العام بهذا الشأن ، فيبقى ان نشير الى ان ثمة حالة خاصة ، بالنسبة للمسؤولية التقصيرية المترتبة على الدولة ، وهي حالة قيام ثورة او قيام الحكومة بقمع الثورة ، ومن جراء ذلك ترتب ضرر على الاجانب المقيمين فيها او المارين بها . وقد اتفق الاجتهاد على ان الدولة لا تسأل عن هذه الاعمال لان الثوار لا يرتبون على الدولة مسؤولية ، وقمع اعمال الثوار حق طبيعي للدولة في المحافظة على بقائها ، ولا يجوز ان يتمتع الاجانب بامتيازات لا يتمتع بها رعايا الدولة انفسهم . لكن ذلك لم يمنع الدول من دفع بعض التعويضات في مثل تلك الاحوال بدافع الانسانية والرحمة(٧) .

غير انه ، اذا اعترفت الدولة للثوار بصفة المحاربين ، فيصبحون هم المسؤولون تجاه الدول الاجنبية عما يصدر عنهم من اعمال مخلة بقوانين الحرب ، وكذلك الامر اذا صدر الاعتراف لهم بتلك الصفة من جانب دولة او دول اجنبية .

لا مسؤولية دولية قبل استنفاد طرق المراجعة القضائية

وفي كل حال ، فقد استقر الراي على ان ثمة اجتهادا

---

(٦) القانون الدولي العام للدكتور علي صادق ابو هيف ـ منشأة المعارف بالاسكندرية طبعة ١٩٦٠ ـ ص ٢٥١ ، بند ١٤٠ .

(٧) وهذا ما فعلته الولايات المتحدة الاميركية بعد حرب الانفصال الاهلية ـ وفرنسا واسبانيا في المغرب عام ١٩٠٧ ومصر بعد حوادث الاسكندرية عامي ١٨٨٢ و ١٩٢١ .

دوليا ثابتا يرسخ القاعدة القائلة بأن الادعاء بالمسؤولية الدولية هو ذو صفة احتياطية ، بمعنى ان هذا الادعاء يكون مرفوضا في الشكل ، اذا لم تكن الجهة المدعية قد عمدت الى استنفاد كافة الطرق القضائية التي تخولها القوانين المحلية ولوجها من اجل الاعتراف بحقوقها(٨) وقد تكرس هذا الاجتهاد في كثير من القرارات الدولية ، نخص بالذكر منها قرار اللجنة التحضيرية لتقنين الحقوق الدولية المجتمعة في لاهاي عام ١٩٣٠ .

آثار المسؤولية الدولية

اما وقد تحققنا من كون الاتجاهات الفقهية جميعا تصب في مكان واحد ، وهو تأكيد المسؤولية الدولية ، فيبقى ان نشير الى ان اهم آثار هذه المسؤولية هو اصلاح الضرر والتعويض عنه ، وقد يتم ذلك باحدى وسيلتين :

١ ــ اما اعادة الحال الى ما كانت عليه قبل وقوع الضرر .

٢ ــ واما بدفع التعويض المناسب وفقا للقواعد العامة للموجبات .

وفي حال عدم الاتفاق بين الدولتين المعنيتين على مقدار التعويض ، امكنهما عرض القضية على التحكيم الدولي او القضاء الدولي . وفقا لاحكام المواد ٣٣ و ٣٦ و ٩٤ من ميثاق هيئة الامم المتحدة .

وفوق التعويض المادي ، تعمد الدولة المشكو منها عادة الى تقديم تعويضات ادبية اذا صح التعبير ، ومنها :

١ ــ الاعتذار الى الدولة المتضررة بالطريقة الديبلوماسية .

٢ ــ التصريح علنا بعدم اقرارها للعمل المشكو منه ، اذا كان صادرا عن احد موظفيها .

٣ ــ فصل الموظف المرتكب للعمل غير المشروع ومحاكمته .

وعلى هذا الاساس ، تستقر العلاقات الدولية وتنتفي اسباب قيام المنازعات او الحروب بسبب التضارب بين المصالح ، او الانتقاص من الحقوق المقررة لها ، وفقا لقواعد القانون الدولي العام .

ثانيا : المسؤولية الدولية والحلول السلمية التحكيمية للمنازعات

لا ريب في ان انتظام دول هذا العالم الواسع في هيئات دولية او اقليمية ، هو ظاهرة مشجعة تؤكد حرص المجتمع الدولي على توثيق افضل روابط التعاون والعمل المشترك في سبيل تحقيق الامن والعدل والرفاهية بين الشعوب ، عن طريق مختلف انواع الاتفاقيات والمعاهدات والمواثيق التي تعتبر الاداة الطبيعية للعلاقات الدولية ، كما تعتبر من اهم مصادر الحقوق الدولية العامة الى جانب العرف الدولي ، والبيانات الدولية ، ومقررات الهيئات الدولية وتوصياتها ، واجتهاد المحاكم الدولية والاقليمية ، واجتهاد المحاكم الداخلية ، وآراء الفقهاء ، ومبادىء العدل والانصاف .

لسنا هنا لنبحث في مصادر القانون الدولي العام او في تصنيف المعاهدات والمواثيق الدولية ، وان تكن كلها مرتبطة ارتباطا وثيقا بموضوع دراستنا . لكننا نحب ان نخلص من ذلك الى القول بأن نشر السلام في ربوع هذا العالم هو مطلب حيوي لكافة الشعوب ، وهو يقوم على اساس الاحترام المتبادل لسيادة كل دولة ، والحرص الكامل على قواعد التعامل فيما بينها ، بهدف تحقيق العدالة والمساواة والخير المشترك .

لذلك كله ، ترتبت للدول حقوق ، وترتبت عليها واجبات ، وكان من جراء تلك الحقوق والواجبات معا ، ترسيخ فكرة المسؤولية الدولية ، في عصر خطا التنظيم الدولي فيه خطوات واسعة لم تترك مجالا للحديث على السيادة المطلقة للدولة ، بحكم كونها عضوا من اعضاء المجتمع الدولي .

ولو كانت دول العالم تحترم توقيعاتها على العهود والمواثيق والمعاهدات ، وتلتزم بما يفرضه انتشار السلام في ربوع الدنيا من احترام لقواعد العدالة والمساواة والخير المشترك ، لتحققت « ارض الاحلام » السعيدة التي داعبت خاطر افلاطون في « الجمهورية » والفارابي في « المدنية الفاضلة » وصموئيل بتلر في « ارون » وتوماس مور في « يوتوبيا » وهربرت جورج ولز في « يوتوبيا الحديثة » ووليم مورس في « ابناء الارض التي لا وجود لها » وخليل رامز سركيس في « ايام السماء » و « ارضنا الجديدة » .

لكن المجتمع الدولي ما يزال ، مع الاسف الشديد ، ينتهج سياسة السمك الكبير والسمك الصغير . ما يزال هذا المجتمع ، رغم معرفته بواجباته ، يعمي عينيه الا عن حقوقه وعما يتعدى تلك الحقوق . ما تزال قوة الحجة فيه دون مقام حجة القوة . ما تزال شرائعه وتشريعاته ، وقوانينه ، ومثله ، ونداءات العقل فيه تتهاوى عند انطلاق اول تذيفة من مدافعه ، ودباباته وسفنه ، وطائراته ، وصواريخه . حتى لقد اصبح انسان هذا العصر ينظر الى ما تواضع المجتمع الدولي عليه من قوانين ونظم ، فلا يستطيع ان يقنع نفسه ــ وليته يستطيع ــ بأن تلك القوانين والنظم المكرسة في نصوص دولية لا تعدو كونها حبرا على ورق ، او اكاذيب واضاليل تصدقها الدول الصغيرة المستضعفة وشعوبها المغلوبة على امرها ، بينما تضرب بها الدول القوية عرض الحائط ، بل هي تتحدى بها وجه الارض والسماء .

الميثاق والدعوة الى الوسائل السلمية لحل المنازعات

ومع كل هذا ، فقد حاول المجتمع الدولي ان يتلمس الطريق السوي الى مواجهة ما يقوم بين الدول من منازعات تختلف دوافعها وبواعثها ، لكنها ان لم تحل بالطرق السلمية

(٨) الحقوق الدولية العامة للدكتور فؤاد شباط ــ منشورات جامعة دمشق ١٩٦٤ ــ ١٩٦٥ ــ الطبعة الخامسة ــ الصفحة ٢٢٩ .

ادت كلها الى الخراب والدمار ، وعلى ضوء ذلك ، نصت المادة الثانية من ميثاق الامم المتحدة على ما يلي : « يفض جميع اعضاء الهيئة منازعاتهم الدولية بالوسائل السلمية على وجه لا يجعل السلم والامن والعدل الدولي عرضة للخطر » .

ولم يترك الميثاق حبل « الوسائل السلمية » على غاربه ، بل حددها في المادة ٣٣ منه بما يلي : « يجب على اطراف اي نزاع من شأن استمراره ان يعرض حفظ السلم والامن الدولي للخطر ان يلتمسوا حله ، بادىء ذي بدء بطريقة المفاوضة والتحقيق والوساطة والتوفيق والتحكيم والتسوية القضائية او ان يلجأ الى الوكالات والتنظيمات الاقليمية ، او غيرها من الوسائل السلمية التي يقع عليها اختيارها » .

التوفيق : واذا كان لا يهمنا ، في نطاق بحثنا هذا سوى الوسيلتين الاخيرتين : التحكيم والتسوية القضائية ، فاننا لا نستطيع ان نتجاهل بأن « التوفيق » يعتبر نوعا حديثا من انواع الوساطة ، وطريقا وسطا بينها وبين التحكيم والقضاء . وقد راج لدى العديد من الدول ، بعدما نبهت اليه عصبة الامم عند بدء تكوينها ونص عليها كثير من المعاهدات الثنائية والعامة(٩) .

وتتولى التوفيق لجان خاصة اطلق عليها اسم « لجان التوفيق » تشبه في تكوينها « لجان التحقيق » وتشمل مهمتها فضلا عن تحقيق المسائل التي يقوم عليها النزاع ، اقتراح حل لهذا النزاع يمكن ان يرتضيه الطرفان المتنازعان(١٠) .

وقد تناولت موضوع التوفيق هذا ، احكام ميثاق التحكيم العام الذي وضعته « عصبة الامم » في ٢٦ ايلول ١٩٢٨ ، والمعروف باسم « ميثاق جنيف العام » .

والملاحظ ان لجان التوفيق ، وان كانت عظيمة الشبه بهيئات التحكيم او القضاء ، من حيث مهماتها ، الا انه ليس لقراراتها اية صفة الزامية للدولة صاحبة العلاقة التي يبقى لها مطلق الحرية في انفاذه او رفضه ، وذلك خلافا للقرار التحكيمي او للحكم القضائي وكلاهما ملزم لاطراف النزاع .

ومع ذلك ، فيرى بعضهم ان اسلوب التوفيق اتاح امكانات اوسع مدى من القضاء لكنها تبقى بعيدة المتناول .

الحلول القضائية : واما الحلول القضائية ، فانها تنقسم الى نوعين :

١ ــ قرارات التحكيم الدولي .

٢ ــ الاحكام القضائية الصادرة عن محكمة دولية .

التحكيم الدولي : يمكننا اولا تعريف التحكيم الدولي بأنه النظر في نزاع بمعرفة شخص او هيئة يلجأ اليه او اليها المتنازعون مع التزامهم بتنفيذ القرار الذي يصدر في النزاع(١١) .

ويهدف التحكيم الدولي الى تسوية المنازعات بين الدول على يد قضاة تنتخبهم هذه الدول ، وعلى اساس احترام الحق(١٢) .

والفرق بين التحكيم والتوفيق يعود الى ان الموفق او الوسيط تقف سلطته عند حد العرض والاقتراح ، اما المحكم ، فسلطته هي كسلطة القاضي وقراره له ما للحكم القضائي من صفة الفرض والالزام .

اما الفرق بين التحكيم والقضاء ، فيعود الى ان الدول المتنازعة تختار المحكمين بينما لا خيار للدول في تسمية القضاة الذين يفصلون في المنازعات التي تقوم بينها .

ويعود التجاء الدول الى التحكيم لتسوية ما يثور بينها من منازعات الى تاريخ قديم ، اذ كان للمدن اليونانية القديمة مجلس دائم للتحكيم يدعى Amphyetion كما نجد الدول المسيحية تلجأ في القرون الوسطى ، الى تحكيم البابا فيما يثور بينها من منازعات ، او الى تحكيم امبراطور « الامبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة » ، باعتبار ان الامبراطور والبابا كانا يعتبران ، في ذلك الزمان ، رئيسين لا منازع لهما ، لبقية رؤساء الدول .

وبعدما قامت سلطة امراء الاقطاع ، واصبح كل امبراطور اميرا لملكته ، في القرن السادس عشر ، اصبح الامير هو المرجع الذي يعهد اليه بالتحكيم .

هيئات التحكيم الخاصة : وفي مرحلة تالية ، بدات الدول المتنازعة تلجأ الى هيئات تحكيم خاصة ، بدلا من اللجوء الى الافراد ، مثلما حصل بالنسبة لحسم الخلافات بين انكلترا والولايات المتحدة الاميركية على الحدود الفاصلة بين هذه الاخيرة وكندا .

واخيرا قام التحكيم القضائي بمناسبة ارسال الانكليز الباخرة الحربية « الاباما » لمساعدة ثوار الجنوب في حرب الانفصال الاميركي ، فأقامت الولايات المتحدة الدعوى امام محكمة التحكيم في جنيف استنادا الى نص معاهدة واشنطن التي وقعتها في ٨ ايار ١٨٧١ ، فحكمت هذه المحكمة على بريطانيا باداء تعويض مادي جسيم .

محكمة التحكيم الدائمة

وعندما انعقد مؤتمر لاهاي الاول عام ١٨٩٩ اتفقت الدول المؤتمرة على تأسيس « محكمة التحكيم الدائمة » التي يرمز اليها بحروف .C.P.A وجعلت مقرها في مدينة لاهاي . ثم جرى تنظيم المحكمة وتحديد اصول العمل لديها ، في مؤتمر لاهاي الثاني عام ١٩٠٧ .

واذا رجعنا الى النصوص المنظمة للمحكمة المذكورة ، وجدنا انها لا تؤلف « محكمة » ولا هي « دائمة » وانه ليس

(٩) القانون الدولي العام للدكتور سامي جنينة ، القاهرة ١٩٣٨ ــ ص ٥٧٣ و ٥٧٤ .
(١٠) القانون الدولي العام للدكتور علي صادق ابو هيف ــ الاسكندرية ١٩٦٠ ــ ص ٦٤٦ ــ بند ٤٠٨ .

(١١) القانون الدولي للدكتور علي صادق ابو هيف : ص ٦٤٨ .
(١٢) المادة ٣٧ من معاهدة لاهاي لعام ١٩٠٧ .

لها من صفتي المحكمة والدوام غير الاسم(١٣) وسبب ذلك :

اولا : ان اختصاصها اختياري بحت وللدول المتنازعة ان تحتكم الى اية هيئة اخرى تختارها ، دون هذه المحكمة .

ثانيا : ان تكوينها ليس على سبيل الدوام والانتظام ، كما هي حال « المحكمة » فهي ليست مكونة من عدد معين من القضاة ، موجودين على الدوام او خلال فصل قضائي محدد في مقر المحكمة ، بل هي مجرد قائمة بأسماء اشخاص من رجال القانون تنتخبهم الدول الموقعة على اتفاقية لاهاي الاولى لمدة ست سنوات قابلة للتجديد .

قواعد التحكيم الدولي

ثمة قواعد منبثقة عما استقر عليه التعامل الدولي ، ينبغي ان يخضع لها التحكيم الدولي ، وهي تتلخص فيما يلـي :

١ ــ من حيث الاساس : يستند التحكيم الى الارادة التي تبديها الدول في صك خاص ، يسمى « اتفاق التحكيم » والا اعتبر الحكم باطلا ، لان ما يبنى على الفساد فهو فاسد .

٢ ــ من حيث الموضوع : ينحصر التحكيم الدولي في رؤية المنازعات الحقوقية كتفسير المعاهدات ، وتنفيذ او تحديد صحة الوقائع او تعيين قيمة الضرر الناشيء عن العمل غير المشروع الذي ارتكبته احدى الدول .

٣ ــ من حيث اختصاص المحكمين : ان اتفاق التحكيم ذاته هو الذي يحدد اختصاص المحكمين ، ويكون لهؤلاء المحكمين حق البت في اختصاصهم ، من دون تجاوزه والا كان حكمهم باطلا .

٤ ــ واخيرا من حيث الاصول المتبعة في التحكيم ، فهي الاصول الخطية ، ونادرا ما تكون شفهية ، ويصدر القرار التحكيمي وفقا للاشكال القضائية وللمخالف ان يدرج مخالفته للقرار المتخذ .

الزامية قرار التحكيم

ان القرار التحكيمي يصدر بالاغلبية (ومن باب اولى يمكن صدوره بالاجماع) .

ويجب ان يكون قرارا معللا ــ وهو يتلى في جلسة علنية ، بعد النداء على الخصوم وان لهذا القرار قـوة الاحكام القضائية ، فيكون حكما نهائيا ، وملزما للطرفين ، ولا يجوز طلب اعادة النظر فيه الا في حالة واحدة فقط هي حالة ما اذا استجدت ظروف كان من شأنها ان تجعل القرار يصدر بشكل آخر لو انها كانت معلومة للمحكمين ، قبل اصداره ، وبشرط ان يكون قد نص على ذلك في اتفاق الاحالة على التحكيم .

وهذه الاحالة هي شبيهة باحدى الحالات التي يجوز فيها الطعن بقرار مجلس شورى الدولة في لبنان ، عن طريق طلب اعادة المحاكمة ، او كمـا يسميها القانون اللبناني : فتح المحاكمة .

واما تنفيذ القرارات التحكيمية ، فهو خاضع لشرف الدولة المحكوم عليها ، وهذا الامر وارد ليس بالنسبة للقرارات الدولية ، بل لاحكام المحاكم الوطنية التي تصدر بحق الدولة فقط .

تقييم التحكيم الدولي

ان التحكيم هو في الاصل عمل اختياري ، تلجأ اليه الدولة المعنية بملء اختيارها ، وبما لها من سيادة ، فلا يتيسر والحال هذه ان يفرض عليها اللجوء الى هذه الوسيلة السلمية القانونية لفض نزاعاتها مـع الدول الاخرى ، بصورة الزامية . لكن رواج التحكيم ، خلال القرن التاسع عشر ، وما اسفر عنه من نتائج طيبة ، جعل الباحثين في الحقوق الدولية العامة يتجهون وجهة توسيع دائرة التحكيم الدولي وتعميمه ، وجعل الالتجاء اليه ذا صفة الزامية بمعنى ان تبادر الدول الى الاتفاق مقدما (ودون ان يكون هناك نزاع فعلي بينها) على اللجوء الى التحكيم ، في حالة قيام مثـل هذا النزاع ، وعـدم امكان تسويته بالطرق الديبلوماسية ، فمثل هذا الاتفاق يكون بمثابة تعزيز للتحكيم الالزامي والتزام الدول به يكون التزاما تعاقديا تقبله بمطلق ارادتها .

وهكذا نصت الدول في الكثير مـن المعاهدات التي تبرمها على الالتزام بالتحكيم الالزامي في كل نزاع ينشأ عن تطبيق او تنفيذ تلك المعاهدات .

ثـم ما لبثت ان خطت خطوة جديدة ، اذ ابرمت معاهدات خاصة بالتحكيم في جميع المنازعات ذات الصبغة الحقوقية . وبعد ذلك ، بذلت جهود كبرى في مؤتمري لاهاي الاول (١٨٩٩) والثاني (١٩٠٧) لتقرير التحكيم الالزامي . لكن بعض الدول لم يكن متحمسا للفكرة . فلم يسفر الامر الا عن تصريح تضمنته مقدمة البروتوكول الختامي للمؤتمر الثاني ، اعلنت فيه الدول المشتركة في المؤتمر :

١ ــ الاعتراف بمبدأ التحكيم الالزامي .

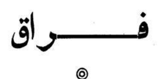
٢ ــ تقرير وجود منازعات معينة ، وخصوصا ما تعلق منها بتفسير وتطبيق الالتزامات التعاقدية الدولية ، جديرة بالعرض على التحكيم الدولي دون اي قيد وبهذا الموقف سجلت الدول المشتركة في مؤتمري لاهاي خطوة تراجعية ، في مجال الاعتراف بضرورة تحمل المسؤولية الدولية الكاملة ، وبالتالي الالتـزام بالقرارات التحكيمية الدولية .

فهل كان حظ القضاء الدولي اوفر من حظ التحكيم الدولي ، في مجـال ترسيخ الالتزام الجدي بالمسؤولية الدولية ؟

هذا ما سوف نجيب عليه في المباحث التالية .

فوزي عطوي

(١٣) الحقوق الدولية العامة للدكتور فؤاد شباط ص ٥٨٩ ، والقانون الدولي العام للدكتور علي صادق ابو هيف .



◎

آه سافرت ! ! فاستفاقت جروحي وادلهم الظلام في عمق روحي
وتنزى لدى الفراق فؤادي كاختلاجات طائر مذبوح
آه سافرت ! لم تودعك عيناي بدمع من مهجتي مسفوح
لم أكحل عيني بالنور أنداء ترشينها ، فتبرا قروحي

لم سافرت ؟ فيم خلفت قلبي يتلظى أسى ، يذوب هياما
يزرع الكون باحثا عنك يعدو في لهاث يسابق الاعواما
حائرا ، والها كأم توارى طفلها في الدجى فخرت حطاما
أين سافرت يا بحيرة آمالي علام ارتحلت آه علاما ؟

كيف لم تنثري على افق روحي نغمات من الوداع الاخير
رحت .. لا بسمة تبرد آهاتي ، وترسي الضياء في ديجوري
فاذا القلب صرخة رجعتها شهقات الارواح عبر الدهور
واذا الكون صفحة من دموع سطرتها رعشات قلبي الكسير

واشقائي ! لقد تحولت ذكرى تحتسي من صميم روحي الدماء
همسك الناعم الطرير أأنسى دفئه ، والفؤاد منه أضاء
وجفون نواعس أي سر في حنايا رفيفها يتراءى
وابتسام كأنما صب من قدس طهور ، كأن فيه السماء

أي ذكرى خلفت يا فجر أحلا مي ، ويا ليل شقوتي وشجوني
أحنين يهز أعماق أعما قي ، فاعدو اليك كالمجنون
أنحيب يؤج في غور قلبي أصراخ يقتات ضوء سكوني
أضباب من الهموم يغشي مقلتي .. يا لبؤسي المشحون

كيف في لحظة تريق كؤوسي الطافحات الرؤى أكف الفراق
ويخط الزمان في صفحة البؤس سطورا عن قلبي الخفاق
آه لم أرتشف من الحب الا حسرات وأدمعا في المآقي
وحنينا كالموج يهدر في قلبي ، ويذرو اللهيب في أعماقي

سفر حبي دقائق كومتني مزقا فوق راحة الاعوام
نظرات ، سلافة عصرتها شفتاها من بسمة وكلام
ووداع كأنه حشرجات الروح تسري في لجها أيامي
وفراق كأنه الموت يجتاح سكوني المصبوغ بالآلام

آه سافرت ! هل تعودين للقلب ضياء مخضوضر البسمات
هل تعودين أحتسي من سواقي مقلتيك الحياة والامنيات
هل تعودين تزرعين حنايا مهجتي بالكلام والهمسات
هل تعودين ؟ ان روحي تناديك ، فعودي لموئلي ، يا حياتي

درعا ــ سورية غازي الناصر

عبد القادر عياش
المؤرخ والفولكلوري

بقلم حسان الكاتب

* * *

فقدت سورية في الثامن من شهر حزيران ١٩٧٤ بحاثة فولكلوريا ومؤرخا فراتيا فذا ، نذر حياته كلها للتعريف بمسقط راسه دير الزور (عام ١٩١١) وخصها بكتاباته ودراساته وجل مؤلفاته التي بلغت حوالي /١٤٠/ مؤلفا وكراسا وبحثا ودراسة ، كما اوقف على دراسة وادي الفرات مجلته « صوت الفرات » منذ عام ١٩٤٥ حتى رحيله عن هذه الدنيا . كما انشأ متحفا للتقاليد الشعبية في بيت ضم آثارا وتحفا فراتية . ولقد كان هذا المتحف موضع اعجاب وتقدير الزوار القادمين لمنطقة الفرات .

واذا كان البحاثة الراحل لم يلق تشجيعا في حياته ، فنأمل من المسؤولين في سورية ان يرعوا آثاره بعد وفاته ويتبنوا هذا المتحف رسميا ويوسعوه ويطلقوا اسمه عليه .

كما ان البحاثة الراحل ترك اثرا مخطوطا هاما بعنوان « معجم الكتاب السوريين في القرن العشرين » وقد ذكر لي قبل وفاته بانه ضم ترجمة حوالي (٣٠٠٠) كاتب عربي سوري ولقد توطدت صلته مع الكتاب والمؤلفين السوريين عن طريق هذا المعجم ، لانه تعرف على معظمهم لدراسة تراجمهم كما تعرفوا عليه بهذه الطريقة . ولقد مضى عليه ثلاث سنوات وهو يعد هذا المعجم . وحبذا لو عمد اتحاد الكتاب او وزارة الثقافة في القطر العربي السوري الى طبع هذا الاثر القيم .. لانه ضم جهدا ضخما للبحاثة الراحل .. كما انه يعتبر من المراجع الهامة عن الحركة التاليفية السورية في القرن العشرين .

ولو استعرضنا حياة البحاثة الراحل لوجدناها مليئة بجلائل الاعمال . فقد تخرج في كلية الحقوق بجامعة دمشق عام ١٩٣٥ وعمل في الادارة والقضاء ، وحرص على الاسهام بنشر الثقافة في بلده فكان يلقي المحاضرات في النوادي والمنتزهات العامة ، واسس نادي « البيت الثقافي » بدير الزور سنة ١٩٤٤ واداره ، وكان يلقي فيه محاضرات في تاريخ دير الزور ووادي الفرات .

والاستاذ عياش من هواة زيارة الآثار القديمة ، فقد زار العديد من المعالم الاثرية في البلاد العربية والعالم ، واسس جمعية العاديات في دير الزور سنة ١٩٥٨ وانشأ مركزا للدراسات التاريخية والجغرافية بدير الزور بنفس السنة ، كما كان عضوا في مركز الابحاث التاريخية والاثرية التابع للمديرية العامة للآثار بدمشق وعضوا في اتحاد الكتاب العرب بدمشق ، وقد اشترك بالمؤتمر العربي الثاني للآثار الذي عقد ببغداد سنة ١٩٥٧ ، وتلقى دعوات للاشتراك بمؤتمرات الآثار العربية وتلقى دعوة للاشتراك بالمؤتمر الخامس للآثار في البلاد العربية الذي تقرر عقده في القدس بين ٣ — ١٣ حزيران ١٩٦٧ واشترك بمؤتمر الآثار الكلاسيكية التاسع الذي عقد بدمشق عام ١٩٦٩ . كما اشترك في المؤتمر الدولي للتاريخ والآثار بدعوة من الجمعية العراقية بتاريخ ١٩٧٣/٣/٢٥ والقى فيه محاضرة واشترك بالندوة التاريخية العالمية عن بلاد الشام التي عقدت في الجامعة الاردنية بعمان بين ٢٠ — ٢٥ نيسان ١٩٧٤ وكان البحث الذي قدمه بعنوان « مشاركة المدن الفراتية السورية بالحركة العلمية في العصور الاسلامية » .
وقد نظم عددا من المعارض في دير الزور ، نذكر منها على سبيل المثال معرض الصور عن البلاد العربية عام ١٩٤٦ في نادي « البيت الثقافي » والثاني معرض الكتاب الفراتي سنة ١٩٦٠ بمناسبة ١٧ نيسان . وفي عام ١٩٧٣ اقام له المركز الثقافي بدير الزور معرضا لكتبه ومؤلفاته التي بلغ عددها آنذاك ١٣٢ كتابا وكراسة ودراسة كلها عن وادي الفرات وفولكلوره . ونذكر اسماء بعض هذه المؤلفات التاريخية اولا ثم الفولكلورية :

المؤلفات التاريخية عن وادي الفرات :

١ — رحالة عرب وافرنج زاروا الفرات ٢ — الزاد الحضاري في دير الزور ٣ — مناضل من الفرات ٤ — عبدالله بن طاهر حاكم الرقه ومصر ٥ — القرية في وادي الفرات ٦ — دير الزور حاضرة وادي الفرات في كتابات الكتاب العرب والاجانب في العصور الاخيرة وهو آخر كتاب طبعه الفقيد .

المؤلفات الفولكلورية :

١ — الخبز في دير الزور ٢ — الحلي والوشم والتبرج ٣ — هواية الطوابع في دير الزور — البئر في حياة العرب ٦ — الاعياد الشعبية في دير الزور ٧ — الفنون الشعبية في دير الزور ٨ — الآنية والمواعين في دير الزور ٩ — ديارات الفرات ١٠ — قصص من دير الزور ١١ — تقاليد الوفاة في دير الزور ١٢ — مصطلحات في لغة الديريين .

وقد ارخ البحاثة الراحل لنفسه بكتابين الاول بعنوان « انا والفرات » اصدره في دير الزور عام ١٩٦٧ والثاني بعنوان « اهتمامات » اصدره في دير الزور ايضا عام ١٩٧٣ وطبعته له مطبعة الاديب بدمشق .

ونقدم فيما يلي نص الكلمة التي القاها في الجامعة المستنصرية ببغداد بتاريخ ١٩٧٣/٣/٢٨(١) خلال ايام

(١) انظر صفحة (٥ — ١٤) من كتابه « اهتمامات » الصادر في دير الزور عام ١٩٧٣ .

المؤتمر الدولي للتاريخ والآثار المنعقد في بغداد ٢٥ ــ ٣٠ آذار ١٩٧٣ حيث كان مشاركا فيه بدعوة من الدكتور حسين امين رئيس الجمعية العراقية للتاريخ والآثار الداعية للمؤتمر والمنظمة له .

وذلك لاهمية هذه الكلمة بالنسبة لنشاط البحاثة الراحل في مضمار البحث التاريخي . وهي بعنوان « دور الهواة في كتابة التاريخ وحفظ الآثار ونشر التراث » :

« لست استاذ تاريخ ، ولا معلما ، ولا احمل رايا في التاريخ ، ولم اعد بحثا ولم اكون منهجا في التاريخ احرص على طرحه .

اني مجرد واحد من هواة التاريخ الكثيرين ، الذين وجدوا في القديم ، ويوجدون في مختلف البلدان .

لم تكن هوايتي التاريخ على هامش تخصصي في القانون ، وممارستي المحاماة . وانما كانت الى جانبها . ومتغلبة عليها . كان اهتمامي بالتاريخ ، وما فتىء اكثر من اهتمامي بالقانون . وحوت مكتبتي من كتب التاريخ ، اكثر مما حوت من كتب القانون .

توقفت عن ممارسة القانون ، لاحالتي على التقاعد ، لكني ، لم اتوقف عن ممارسة هوايتي التاريخ وما تفرع عنها من هوايات .

لم ينشأ حبي للتاريخ وولعي به من الفراغ ، كانت صلتي بالتاريخ في كل مراحل تعليمي . لكنني ، كنت اتجاوز المادة التاريخية المقررة ، واقرا بنهم في اثناء الدراسة ، كتبا ومجلات في التاريخ ، حتى تمكنت مني هذه العادة الى اليوم .

اهتممت بصورة خاصة بتاريخ وادي الفرات الاعلى ، منطقتي ــ فجعلت التمس مصادره . واحرص على ان اعمق اطلاعي عليه وما يتصل به .

تكونت لي ، خلال اربعين سنة تجربة محدودة مع التاريخ ، في منطقة محدودة ، ذات سمات ومميزات خاصة وظروف صعبة .

تجربة اغنت ثقافتي ، وعمقت اطلاعي ، واثمرت عندي هوايات ، افادتني كثيرا في حياتي ، كانت وما برحت بديلا من السأم والوحدة والخمول والعقم ، وافادت الآخرين ، وكسبت منها منطقتي .

فمن حق التاريخ علي ، ان انوه بفضله الكبير . وباثره في حياتي ، وفي انتاجي الادبي واهتماماتي ، التي خدمت بدورها التاريخ والآثار والتراث .

هذه هي المناسبة الطيبة ، لذكر فضل التاريخ علي ، واعلان التزاماتي برد جميله بما هو اجمل واوفر . وليكن ذلك باستعراض موجز لجانب من جوانب حياتي ، كعامل في ميدان التاريخ والآثار والتراث . ومشارك بهذا المؤتمر الجليل الذي يعقد في بغداد العظيمة وارثة الحضارات .

واعوذ بالحق من ان اكون قصدت فخرا او مغنما ، ليس غير الواقع .

حفزني حبي للتاريخ على مواصلة القراءة لمادته ، وللادب والفنون والعمارة وسائر فروع المعرفة .

الادب عندي تاريخ العواطف والاخيلة وتطور الاسلوب . ووصل الماضي بالحاضر .

اكاد انظر الى المعارف والعلوم على انها تاريخ وآثار . ان المحب لا يكاد يرى غير حبيبته ولا يفكر بسواها .

فتحت قراءاتي التاريخ ــ امامي ــ آفاقا رحيبة .

رأيت في اللغة اكبر مساند التاريخ والفكر والمدنية . فلا عجب ان برز الاهتمام بدراسة اللغات ، وصار لها علوم متعددة ، يزداد الاهتمام بها من يوم ليوم .

واللغات منذ القديم . مختزن الحضارات . تتعارض العطاء والاخذ من بعضها بعض ، لا تتعرف على الحدود . وتبقى لكل لغة خصائصها .

اني احب الحياة . ولقد رايت المؤرخين المحدثين ، قد ارخوا لمختلف نواحيها ، لم يغفلوا ناحية . شاقني ذلك الى تتبع تاريخ هذه النواحي ، واولعت بالاطلاع عليه والاحتذاء به .

لم تعد كتابة تاريخ امة وقفا على المؤرخين من ابنائنا ، وانما اصبحت منذ القديم ميدانا يلجه المؤرخون على اختلاف قومياتهم ، وفي ذلك فائدة وطرافة . حيث تتعدد وجهات النظر والآراء وتبرز الصور .

مؤخرا عرض المستشرقون للتاريخ العربي ، فكان لهم فضل كبير ، فيما نشروا من المخطوطات العربية المحققة ، وفيما كتبوا ، واتبعوا من المناهج ، وما توصلوا اليه من النتائج . وقد افاد المؤرخون العرب المعاصرون من كل ذلك . ولكل مجتهد نصيب .

ان حبي للتاريخ ، لم يقيدني . فلم يجعلني ، اتعصب لفترة تاريخية او لمذهب او طريقة او منهج معين . او لمؤرخين معينين .

علمني التاريخ ان اشك في كل ما اقرا . لا اتقبل روايات التاريخ كما هي . وعلمني ان ارفض الروايات الضعيفة ، والمخالفة للواقع والمنطق .

علمني ان امقت التعصب للتاريخ ولكل تعصب ، وان احب تاريخ كل الشعوب ، كما احب الشعوب . وان امقت الحرب الهجومية والتعدي والاغتصاب .

كان نمو النزعة الانسانية في عصر النهضة في اوربا ، يعود في اكبر اسبابه الى تأثير الاقبال على دراسة تاريخ اليونان والرومان .

علمني التاريخ ان اكون على الدوام طليقا ، انسانا قبل كل شيء مع الشاعر العربي في قوله :

اذا كان اصلي من تراب فكلها بلادي وكل العالمين اقاربي

حفزتني هوايتي قراءة التاريخ ، على ان اهوى التاريخ .

بدأ عندي بمحاولات التأريخ لالعابنا المحلية وتقاليدنا ، ولفنون ادبنا الشعبي في منطقة الفرات الاعلى . منذ

اربعين سنة .
كل ذلك هيأ مني فولكلوريا فراتيا متخصصا ، من حيث لم اقصد ، ولم اتخرج من معهد فولكلوري . ومن غير ان تعهد الي جهة بذلك . او ان اكون مأجورا عليه .
ما لبثت ان احببت الفولكلور بصورة عامة حبا زائدا ، وحرصت على طلب كتب فيه ومقالات ، اندفعت اقرؤها بنهم ومتعة . ولقد زودتني قراءة كتب الفولكلور ومجلاته بمناهج دراسته وطرق جمعه وتدوينه . وبصرتني بجدواه واهميته الكبرى في دراسة التاريخ والتراث والآثار واللغة وفهم حياتنا اليومية وسلوكنا ومعتقداتنا .
ما لبثت هوايتي للفولكلور ، ان اسلمتني الى هواية الآثار ، وقراءة ما وصلت اليه يدي من كتب الآثار ومجلات الآثار في اللغة العربية ، وزيارة الآثار ومتاحفها في عدة اقطار من آسيا وافريقيا واوربا وهو اول ما اقصد من رحلاتي .
انشأت مجلتي « صوت الفرات » عام ١٩٤٥ في دير الزور حاضرة وادي الفرات لنشر محاولاتي في تاريخ وادي الفرات ، وجغرافيته ، وفولكلوره ، واقتصاده وعمرانه ، ما زالت تصدر حتى اليوم بنفقتي فقط ، ودون ان يكون له مردود مادي . تشكل اعدادها مع مؤلفاتي التي نشرتها بنفقتي فقط عن مختلف شؤون وادي الفرات : الدراسات الفراتية — اول مرة . هي المرجع لمن يريد ان يتعرف على وادي الفرات . او ان يدرس تاريخه وشؤونه .
ان هوايتي الفولكلور والتأريخ جعلت مني صحفيا ومؤلفا ودارسا مختارا وغير مأجور .
اسست جمعية العاديات في دير الزور عام ١٩٥٨ ، ما زالت قائمة تمارس نشاطها واتعهدها . وهي الثانية في سورية بعد جمعية العاديات في حلب . لا سواها في سورية حتى اليوم .
واسست مركز الدراسات التاريخية والجغرافية في دير الزور ، عام ١٩٥٩ ما زال قائما يمارس نشاطه .
ولقد كان لي شرف المشاركة ببعض المؤتمرات العربية للآثار . منها : المؤتمر الثاني الذي عقد في بغداد بشهر كانون الاول عام ١٩٥٧ . والمؤتمر الدولي التاسع للآثار الكلاسيكية الذي عقد في دمشق صيف عام ١٩٦٩ .
تتابعت هواياتي . فما ان جذبتني هواية ، وخطوت معها خطوات ، حتى اسلمتني الى هواية جديدة . كأن بين الهوايات اتفاقا ، على ان لا تستأثر بي واحدة دون الاخرى .
وفي الواقع ان هذه الهوايات يتمم بعضها بعضا ، لا اتخلى عن واحدة منها . اني ازيدها ، ولا انقصها .
على اني لا اقبل عشوائيا على هواية من غير مناقشة خدمتها للتراث وللتأريخ والفولكلور . وهل هي متيسرة ، وفي حدود امكاناتي .
لقد صارت هذه الهوايات مصدر متعة لي ومحور نشاط ادبي امارسه . لم اعد اشعر مع هواياتي بأي سأم او فراغ او وحدة . ازداد معها حبي للحياة .
اسمحوا لي ان اوردها شاهدا قريبا على اهمية الهوايات ودورها الكبير في كتابة التأريخ . وحفظ الآثار . ونشر التراث ، واغناء الحياة الاجتماعية .
كان اولها : هواية طوابع البريد . بدأت عندي في العشرينات . اتخذت ادواتها وكتلوكاتها ، وتتبعت تاريخها واخبارها ، وانشأت علاقات مباشرة وبالمراسلة مع هواة ، وانضممت الى عدة جمعيات ونواد للطوابع .
ورغبت بنشر هذه الهوايات الجميلة في بلدي ، الذي يخلو من الهوايات الجميلة المفيدة . فنشرت مقالات وكراسا عنها . ونظمت معرضا في دير الزور عام ١٩٦١ ، مدة اسبوع . كان اول معرض للطوابع تشهده دير الزور . هذه الهواية ما زالت لدي . ومجموعتي الطوابع في نمو مستمر .
واولعت بجمع قطع السلاح القديم ، مما استعمله ابناء منطقة الفرات وهويت جمع الآنية القديمة على اختلاف مادتها ، مما وجد في دير الزور . والحلي الفضية الشائعة في المنطقة ، والعصي ، وادوات الصيد ، وادوات تدخين التبغ ، وادوات صنع القهوة العربية ومشربها ، وادوات الالعاب الاهلية ، وساعات الجيب القديمة . والاختام على اختلاف موادها واشكالها .
ونشرت في بعض هذه الاشياء مقالات ومؤلفات .
هويت جمع المخطوطات العربية ، حصلت بعضها . وحققت ونشرت مخطوطتين ، تقع كل واحدة في اربع وخمسين صفحة من القطع الكبير . كلاهما من وثائق تاريخ وجغرافية وادي الفرات الاعلى . هما مذكرات المهندس الزراعي احمد وصفي زكريا ، وتقرير المهندس وجيه الجزار .
التقت هذه الهوايات لتشكل متحف دير الزور للتقاليد . اقمته في بيتي وبنفقتي فقط . ولو كان بي خصاصة . ذلك انه : اذا عظم المطلوب قل المساعد . اسبلت زيارته في كل وقت . لقد زاره كثيرون من ابناء دير الزور وغيرهم ، منذ تاريخ تأسيسه في عام ١٩٥٧ حتى يومنا . كتبت عنه الصحف والمجلات السورية . وورد وصفه في بعض المؤلفات . منها كتاب « آثارنا » تأليف محمد ابو الفرج العش — محافظ المتحف الوطني بدمشق صدر في دمشق عام ١٩٦٠ .
شغل هذا المتحف الصغير فراغا كبيرا في حياة دير الزور الفكرية . فليس فيها ، ولا في كل وادي الفرات في سورية حتى اليوم غيره . لم يلق من الرسميين ولا من اية جهة مساعدة . مع ما للمتاحف من اهمية كبيرة في الحقل السياحي .
ما زلت اوالي جهدي وانفق المال من جيبي مع خصاصتي لرعاية المتحف . وانماء محتوياته وتنسيقها . وحسبي اني اؤدي بذلك خدمة لمسقط رأسي وللتاريخ ، سيكون من ثمار وآثار هذا المتحف متاحف رسمية واهلية في دير الزور ، وفي قصبات وادي الفرات في المستقبل

القريب . يحتم تأسيسها التقدم الاقتصادي والحضاري والفكري . اني منذ ان انشأت متحفي ، اكتب المقالات بطلب تأسيس متاحف في قصبات وادي الفرات . والاحق من اعرف من الوزراء السوريين مطالبا بهذا الشأن .

اني اكتب في وسط متحف دير الزور للتقاليد فصولا من تاريخ دير الزور وشؤونها يوحيها لي .

هل كان الحكماء والمؤرخون والجغرافيون والعلماء القدامى ، من مختلف الاقوام ، الا هواة ؟ فلم تخرجهم جامعات ولا معاهد . يدينون التاريخ والتراث بأكبر الفضل .

قامت علوم التاريخ على مؤلفات المؤرخين القدامى . وقامت علوم الآثار على هواة الآثار . بما بذلوا من الاموال ، وما قاموا به من الرحلات ، وما نشروا من مقالات ومؤلفات . وما زال التاريخ والآثار هواية الكثيرين .

كانت مجموعات تحفهم اساس متاحف الآثار . وكانت هواية القراءة والكتب ، وما فتئت اساس تقدم وانتشار الطباعة والوراقة والمكتبات .

وكانت مجموعات هـــواة اللوحات الفنية والتماثيل والقطع الفنية ، اساس متاحف الفنون في العواصم . وهي من اعظم ما تفاخر به هذه العواصم .

وكذلك كانت مجموعات مختلفة متنوعة لهواة عديدين، اساس متاحف عديدة . او انها اغنت متاحف عديدة .

لم تنكر بعض الحكومات الراقية فضلهم ، فأسمعت بعض المتاحف بأسماء اصحابها .

كان جمع المخطوطات ، وما زال هواية بعض الناس. نشأ عنه من صيانة المخطوطات وعلم تحقيقها ونشرها . وكان وما زال للهواة فضل جمع المخطوطات وحفظها واتاحة نشرها . الذي افاد التراث واغناه .

لقد تتابع ظهور الهواة في كل الشعوب منذ القديم . وتنوعت هواياتهم لم تنحصر في اشياء معينة . ان ظهور الهوايات حاجة من حاجات الحضارات والتطور والتقدم .. فضلا عن دورها الرفيهي وعنصر المتعة . افاد منها الفن والعلم والثقافة والتراث فوائد جمة .

عندما كان الناس يؤدون معظم اعمالهم بأيديهم طول ساعات اليوم ، لم يجدوا وقتا للتسلية حتى الاطفال ، كانوا يعملون ١٥ ساعة في اليوم . اما اليوم . فقد توفرت ساعات الفراغ والعطل وخاصة لتلاميذ المدارس . ولذا فان كل انسان يجد من وقته متسعا يقضيه فيما يشاء . وكثير من وقت الفراغ يقضي في مزاولة الهوايات .

قامت الحركة الرياضية في العالم والتي اكتسبت اهمية بالغة في حياة الشعوب على هواة الرياضة في اشكالها العديدة والمتزايدة .

واذا اعتبرنا المؤرخين المتخصصين والمحترفين جيشا نظاميا ، فان الهواة بمثابة فرق الانصار . لهم مهماتهم واماكنهم ودورهم واهميتهم .

كان الهواة وحدهم الرواد والطليعة ، وما زالوا في بعض المناطق ، ينهضون وحدهم بمهمة التأريخ لمناطقهم والتعريف بها ، ودراسة شؤونها على ما هي هذه المهمة من المشقة والتكاليف والتطوع وعدم التشجيع ، الا ما ندر .

ان الحق وواجب الاعتراف بالجميل يقضياني ان اعلن ، كهاوي تاريخ ومؤرخ هاو ، بأني نلت من الجمعية العراقية للتأريخ والآثار في بغداد والتي يرأسها الدكتور حسين امين بدعوتها اياي للمشاركة بالمؤتمر الدولي للتأريخ والآثار الذي دعت اليه والذي يعقد في بغداد بين ٢٥ ــ ٣٠ آذار ١٩٧٣ . ما اعتبره بحق اكرم تشجيع واكبر تقدير لي . اشكره لها اجزل الشكر واقدره اوفر التقدير ولا انساه .

تنتشر الهوايات المتنوعة اليوم في اوربا وامريكا ، وتنشر وسائل الاعلام اخبارها . وتلقى رعاية وتشجيعا مـــن الدولة والمؤسسات والهيئات . ولهاجمعيات ونواد ونشرات . تنظـم معارض ترعاها الدولة وترصد لهــا المكافآت المالية السخية والمستمرة . لانها تعود على المجتمع بالفوائد الجزيلة .

لا شيء من ذلك عندنا . باستثناء هواية جمع طوابع البريد . وهي محدودة جدا . تقتصر على قلة قليلة من الناس في العواصم .

لا اعرف لاحد في منطقة الفرات ولا في سورية هواية تذكر . ولم اقع على كتاب في اللغة العربية عن الهوايات . وقلما تنشر صحفنا شيئا عن الهوايات . فان هي نشرت ، فجزء صغير منقول عن الصحافة الاجنبية .

ليست الهواية وقفا على فئة من الناس . او على مرحلة معينة من العمر . وليس العلماء بمنأى عنها . فقد عرفنا لعلماء وفنانين شيوخ من قوميات مختلفة ، هواياتهم التي يرتاحون الى ممارستها في اوقات فراغهم ويستمتعون بهـــا .

ان الهواية ــ في ابسط واوجز تعريف ــ هي ان يقوم الانسان بنشاط ما فردي ، يدوي او فكري ، مختارا . عملا اضافيا لذات العمل ، وليس ابتغاء شيء آخر ، يمارسه في وقت فراغه ، لتزجية الوقت او لتعلم شيء او للترفيه . وكل هواية يمكن ان تكون عملا اذا فرض على الانسان الا يمارسها .

ان اقتناء المجموعات من اشهر الهوايات ، واكثرها انتشارا . وكثير من الناس يجمع اشياء كثيرة مختلفة . والرسم هواية مفضلة عند كثير من الناس . وكذلك تربية الازهار واشغال الابرة ، والقيام بالرحلات ، والعزف على آلات الموسيقى ، والخياطة ، وصنع قطع الاثاث ، وصنع الآنية الفخارية ودراسة النجوم وتعلم اللغات ، وتربية الطيور ، وهوايات غريبة اخرى .

واحيانا تنقلب الهواية الى حرفة ، فقد يهوى انسان تربية الازهار فيربيها ليبيعها . وقد تهوى امراة خياطة الثياب ، فتحترفها لتكسب منها قوتها . وربما تنقلب هواية الطفل حرفة يلازمها ويعيش منها .

ان الهوايات الى جانب دورها الترفيهي ، قد تحقق اغراضا نفسية وثقافية واقتصادية واجتماعية .

يقول الاطباء : ان الانسان اذا اشتد اهتمامه بشيء ما ، كان ذلك مما يساعده على بقاء عقله في حالة جيدة . ولذلك كان الافضل للانسان ان تكون له هواية ، وربما يتخذ الانسان لنفسه اكثر من هواية واحدة .

حين يذهب الطفل الى مدرسة جديدة ، او يبحث الرجل عن عمل جديد ، فغالبا توجه اليه طائفة من الاسئلة ليجيب عليها . واجابته عن هذه الاسئلة تكشف كثيرا عن شخصيته . وهنالك سؤال لا بد ان يوجه في مثل هذه الحالة هو : ما هوايتك ؟ فلقد صار للهواية شأن هام يحسب حسابه .

ليس في وسعي ان انصرف الى دراسة الهواية ، وتعريفها تعريفا حديثا . لان علماء الاجتماع لم يوردوا لها بعد تعاريف . ولم تقع لي دراسات تعرضت لهوايات ، مع انها جديرة باهتمام علماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء الاقتصاد .

عندي ان الاهتمام بالهوايات هـو اهتمام بالحياة وبالناس ووقت فراغهم وهو مشكلة يعيرها علماء التربية اهتماما زائدا ، وتوليها الدول عناية كبيرة .

اتوقـع ان تتناول العلـوم التاريخية والاجتماعية والنفسية ، عما قريب دراسة ظاهرة الهوايات . واقدر انها ستحظى بعلم مستقل ، هي به جديرة ، يقف الى جانب العلوم الانسانية ، التي ظهرت مؤخرا ، ولما تستكمل بعد مقوماتها وترسي اساساتها وتتضح معالمها وطرقها .

سيكون لها علماؤها ، يدرسون نشأها وحوافزها ، ومختلف آثارها ، ودلالاتها ، ويحيطون بأنواعها واشكالها . سيخططون لنشرها وتأصيلها ، وسيعقدون لها المؤتمرات الدولية . كما هو شأن العلوم الانسانية الاخرى .

لا يوجد مجتمع بلا هوايات ، ولا توجد هواية انسانية بلا جدوى ومدلول واثر على صاحبها وعلى المجتمع .

يندفع الهاوي غير مدخر جهدا ولا مالا في ممارسة هوايته ، واشباع حاجة في نفسه ، قد لا يتبينها بوضوح . الا ان مردودها يعود بالنفع عليه وعلى التراث ، ما لم تكن غير انسانية .

الهاوي في الغالب ، اوفر نشاطا ، واشد حماسة ، واكثر انطلاقا من المتخصص ، الذي يقيده ، ويحد من نشاطه وآفاقه الروتين ، واداء الوظيفة والتخصص نفسه ، وما ترسم له هيئة عمله من حدود لا يتعداها .

اقنعتني تجربتي — خلال اربعين سنة — بجدوى الهوايات البريئة واهميتها ونفعها الكبير للافراد وللمجتمع ، في كل مراحل العمر وللجنسين . وبخاصة في المراحل المتقدمة في عمر الانسان . وبمردودها غـير القليل على التاريخ والتراث والعلوم الانسانية وعلى الصحة النفسية لاصحابها .

لقد اثبتت الهوايات ، وما زالت تثبت فوائدها ، منذ القديم . لقد خرج من الهواة علماء في سائر فروع العلوم والمعارف والفنون .

ان خلو حياة الافراد مـن الهوايات ، لا سيما في الشيخوخة ، هو مأساة اليمة حقا . وخلو المجتمعات من هواة هو نكبة . تشهد فصول هذه المأساة وهذه النكبة في مقاهينا المنتشرة في مدننا ، وفي ريفنا . والتي تدمـر اعصابنا وتشل عقولنا . وفي افتقارنا الى الفنون والى الابداعات الانسانية ، وانواع الرياضة وملاعبها والمسارح واشكالها .

اننا نشهد جريمة ، لا مأساة فقط . نعاقب العامل والموظف الذي يتأخر بضع دقائق عن عمله بغير عـذر مقبول . ولا نعاقب المواطنين الذيـن يهدرون ساعـات فراغهم ، ويئدون قدراتهم ، ويهملون بيوتهم واطفالهـم ليتكدسوا في المقاهي ببلادة ، يحرقون اعصابهم بضوضاء المقاهي ، ويتعرضون للامراض الجسيمة والمفاسد التي اتخذت من المقاهي بؤرا وبيئات .

لا أفتأ اردد بأن الهواية اعطتني شيئا كثيرا مفيدا وممتعا لي وللآخرين .

لا اتصور حياتي بغيره . هـو اهتماماتي الادبيـة والانسانية المتعـددة ، ومجلتي ومؤلفاتي ومتحفـي ، ورحلاتي ، وقراءاتي المتنوعة المستمرة ، واندفاعي في كل ذلك من غير ابتغاء اي غرض مادي .

ولذلك اراني ملزما بالعمل من اجل التبشير بأهمية الهواية لجميع الناس وحثهم ، بلساني وكتاباتي ومتحفي ، على ان تكون لهم هوايات انسانية متعددة . لكي يفيدوا انفسهم ومجتمعاتهم ، وليفيدوا التاريخ والتراث .

لقد اعددت دراسة مطولة عن الهوايات وضروبها واهميتها . آمل ان اتمكن من نشرها .

اني اطالب المسؤولين عن الثقافة عندنا ، والمسؤولين عن سلامة اعصاب المواطنين وصحة نفوسهم بتشجيع الهواة ورعايتهم ، وببذل المكافآت المالية السخية لهم . وان لا يتركوا وحدهم ، حتى لا نبخس الناس اشياءهم .

ان انتشار الهوايات في شعب ، ورعاية حكومته للهواة ، هو احد المقاييس ، التي نقيس بها تقدم هذا الشعب » .

وهكذا فقد كان البحاثة الراحل شعلة من النشاط والحيوية والطاقة الخلاقة وقدوة للباحثين والدارسين ليس في وادي الفرات فحسب ، بل في الوطن العربي قاطبة .

دمشق — الجسر الابيض **حسان بدر الدين الكاتب**

القـــرد

بقلم محمد امـــام

في الايام الاولى من شهر الرياح الباردة ، والشمس الهادئة ، التي لا تجدي حرارتها في صقيع امشير الذي وافق نهاية السنة المالية ، التي جعلتني اترك بلدتي اسوان بسحرها ودفئها ، واحضر الى القاهرة لانهاء بعض الاعمال بالمركز الرئيسي للشركة ...

ولم ابذل جهدا كبيرا في البحث عن المنزل الذي اقضي فيه قلائل ايامي ، فبالقرب من الشركة نزلت بأحد الفنادق — بشارع ٢٦ يوليو . الذي تطل نوافذه على مبنى احد المحلات التجارية ، فكلما رفعت بصري خلف زجاجي وجدت نوافذ الطابق الاعلى مغلقة اتقاء البرد والضوضاء في ذلك الشارع التجاري الصاخب ...

وذات صباح احسست برغبة في تناول افطاري في حجرتي ، بعيدا عن النزلاء ... فقد كانوا جميعا من عجائز الاجانب .. ممن لا يروق لي مجالستهم .. او حتى رؤياهم فما يتمتعون به من نشاط ورشاقة يجعلني اذوب حسرة على كرشي — المترجرج — امامي مثل قربة معلقة تهتز في كل حركة تبدر مني .. واكره دهشتهم وتطلعهم لي عندما الق... بافطاري في القربة ..

وفضلت تناول افطاري داخل حجرتي عملا « بمن خرج من داره قل مقداره » .. وجلست خلف زجاج نافذتي التهم الطعام الشهي وارفع عيني .. واجول البصر بين النوافذ المقابلة ثم ابحث عن لقمة اخرى ... وهكذا ..

ورفعت عيني كالمعتاد .. ولكن شيئا شد بصري وجذب انتباهي .. فقد فتحت النوافذ المقابلة كلها ... واطلت رؤوس كثيرة متزاحمة تدافعت لتقصي امرا ما يحدث في الشارع ...

ورغم تمسكي بالطعام .. انتصبت مكاني .. وما ان فتحت النافذة واذا بأصوات تتلاطم لأناس تتماوج اجسامهم .. وابصرتهم نحو الثلاثمائة او اكثر ... وامعنت النظر ... ورحت ابحث تحتي في قلب الزحام عن مركز الدوامة ...

يا الهي .. انه قرد صغير ... يقفز فتهتاج الجموع ... يروح ويغدو في اقل من مترين ، فيسبب هياجا وفزعا .

وقلت لنفسي لا بد انه هارب من مكان ما ... حديقة الحيوان او السيرك او لعله هارب من صاحبه ... وكان آخر ما توقعت ولكنه ليس هاربا ، فقد رأيت تحت اقدامه في موجة عارمة اهاجت ما حوله واوضحت ما تحته ... شيء عزيز عليه ، يحميه ويدفع من حوله المعتدين ... نعم فقد تبينت من اعلى ان هناك اربعة او خمسة رجال يركلون القرد وصاحبه الذي حاول مرارا الوقوف لحماية القرد الذي اتقن وثاقه في معصمه .. ولكن هيهات ... فالرجال اعتى من التغلب عليهم وقهرهم .. فقد اوسعوه ركلا حتى بدا لي انهم لم يتركوا مكانا في جسده الا وكان له نصيب من حذاء احدهم ... وان نعالهم تلطخ ترابها بدماء ذلك المسكين ، ولكنني تداركت كلماتي واسترجعت كلمة المسكين وقلت .. قد يكون فعل فعلة نكراء حكمها في القانون اكثر من الاعدام مما دفعهم للتنكيل به بهذه الصورة البشعة الغير انسانية ، على مرأى ومسمع هؤلاء جميعا ...

انه بعد تلك — العلقة — اصبح الحكم عليه بالمؤبد اخف الف مرة من هذا العذاب الذي لم ينله فأر خبيث حمل في ثناياه مرض السرطان ... ومن هم هؤلاء ؟ الذين اعطوا لانفسهم حق الحكم والتنفيذ بما هو اقصى من اعدام .. اهم قضاة ؟ لا .. لا . اهم من الشرطة لا .. لا اظن ولكن اين امناء الشرطة المنتشرين هنا وهناك ؟ فهنا تتجلى خدمتهم للشعب ...

سحب العتاة الرجل من الذراعين مرة .. ومن الرجلين مرات .. بطول الشارع وعرضه ... وعدت اسأل نفسي — فما من احد يسمعني غيرها — سألتها : اكل هؤلاء دون خطيئة ؟ شرفاء نبلاء من علية القوم ... اهم ارقى من في الارض وذاك من اقل المخلوقات .. ام ان الجميع من ارقى خلق الله ... كلهم سواء ، وهممت ارفع صوتي وانادي ..

يا خلق الله ... من منكم دون خطيئة فليركله ... وانا اعلم تماما ... ان صوتي لم يصل لاحد وان حدث ... فسيتعد الجميع مطأطىء الرأس ، وينصرفون متخاذلين مدحورين ..

ولم اشأ .. واذا بأمناء الشرطة يبرزون بغطاء رؤوسهم وسط المئات التي تضاعفت وهنا ابتلعت ثورتي ، واستقر قلبي مكانه بعد ان كاد يقفز من حلقي ، وبدات ابصر من حولي والرؤوس قد اعتدلت بعد ان اشرأبت ، وبدت الراحة على الوجوه .

ووجدت بيضة قد نسيتها في يدي ، كادت تذوب انفعالا ، فأودعتها فمي ولم اهنأ بمذاقها ، فقد احاط الامناء بمركز الدوامة وافسحوا للرجال الطريق الى سيارة « بوكس » حاملين



نجي القوافي

الى روح ابي الطيب المتنبي

*

كاظم محمد حسين

*

الكوت ــ العراق

نجي القوافي ظل ذكراك خالدا
بك الشعر في عرس الخمائل مزدهي
وما الدهر الا من رواتك لم يزل
وانت بها طير يهيم اذا شدا
تنام على الاحلام والخلق ساهر
وكم جاهل اغراه فيك تضاحك
وما زلت من دنياك تضحك ساخرا
وجربتهم حيث الخداع نصيبهم
وناموا على الليل المباغت نومة
ولن يفلحوا ان الملوك اعاجم
فلا الشرق مسؤول عن الغرب بعدما
وكل تناهى في الامارة وحده

فعشت على المجد المؤثل رائدا
على غرر قد صفت منها قلائدا
يردد من سحر البيان شواهدا
وغيرك صوت كالصدى حين عاودا
وتصطاد منها ما تريد شواهدا
على ما ترى حتى تمزق حاقدا
وتبقى عليها في الملمات ساهدا
ويعجز عن تطبيبه الشعر راشدا
تطول فلا تلقى الكريم مجاهدا
على عهدهم بات الزمام مواردا
تفرقت الابناء ، فيما تواردا
على رغم احداث البلاد محايدا

نجي القوافي ان مسراك حافل
نزلت بأرض الشام فيك تطلع
وجئت بني حمدان بعد مرارة
وباعدت كافورا لبغداد سادرا
وتسعى الى ارجان سيرا وتنتهي
ترحلت عن قوم وكانوا كغيرهم
تشاهد اصناما على الذل ترتمي
وما العيب والنقصان فيك وانما

فهل كنت من فيض اللذاذات واردا
الى الملك، او ترقى على الجيش قائدا
تصوغ القوافي كالقلائد حامدا
تودع احلاما ، وتطوي فدافدا
خطاك الى شيراز في الدرب صاعدا
على ارضهم جهلا اضاعوا المحامدا
وليلا على آفاقهم كان سائدا
هو العيب في عصر تكالب جاحدا

نجي القوافي ما ارتويت بنهلة
عفيف اذا رق الحديث تغزلا
سعيت الى الآمال وهي بعيدة
وكم كنت تشقى في الحياة تلفتا
اذا كنت لم تحصل الى المجد سلما
فقد جددت بغداد ذكراك فاستمع
ومن كل قطر وافدون يهزهم
وفاؤك يا بغداد حلم مراود
خطى الالف قد احيت اباك محسد
ومن كان ذا فكر حصيف فانه

ولا رغبت نفس لديك الموائدا
حكيم اذا جاء الكلام فرائدا
وجبت بها البلدان حتى الاباعدا
وتأسو اذا صار المرام معاندا
فقد نلت كل المجد تعلو الفراقدا
اليها بما تختار فيك القصائدا
يراعك ، والفكر الذي ظل خالدا
وكم حققت بغداد حلما مراودا
تلفت ، فهلا قد تصيدت حاسدا
يعيش على المجد المؤثل رائدا

المغلوب على امره وصديقه القرد واطاحوا بهما في السيارة وقفزوا خلفهم واثنين من الامناء وقاموا آخرين بتفريق الجمهور ... وافساح الطريق للسيارات التي تعطلت وبرز من نوافذها رؤوس سائقيها في انتظار انقشاع الضباب .. حتى يستأنفوا السير ... ولا يهم احدا منهم ما يحدث ..

وجفلت لحظة ... ثم اسرعت ولم يسعفني المصعد ... فهبطت الدرج حيث صدمت وجهي نسمة باردة ... جعلتني اتمهل الخطوات في الممر المؤدي الى الشارع الكبير .

ويا للمفاجأة .. لا اصدق عيناي .. اين الشغب ؟ اين ؟ اين ؟ لا شيء لا شيء وقفت كالمجنون بجوار محل الاحذية اسفل الفندق ... اكل الذي رايته حلم ؟

وحملقت في اعلى المبنى الشاهق لاجد النوافذ هادئة وكأن شيئا لم يحدث من دقائق كاد عقلي يذهب وراء القرد وصاحبه ... وزاغت عيناي تبحث عن شيء .. اي شيء .. رجل .. امراة . ارض الشارع قد تنطق بما وقع عليها وشهدته ... ولم تدم حيرتي طويلا فقد انقذني صوت هادىء لرجل تعدى الخمسين ، يبدو انه من العاملين بمحل الاحذية . كلماته اثلجت صدري واعادت لي عقلي .. قال : انتهى كل شيء ... كأن شيئا لم يكن ... ذهبوا جميعا .. الرجال والقرد الذي نشل من احدهم حافظة نقوده ... ومعلم القرد .. .ذهبوا جميعا .

القاهرة — محمد امام



رشيد الذوادي

من اعلام التونسيين

محمد علي العنابي

بقلم رشيد الذوادي

★★★

لقد احتار عند وصوله الى باريس .. فأي معهد سيلتحق به ؟ ان ابناء الذوات قد جاءوا من اغلب مدن البلاد التونسية واكثرهم قد اختار متابعة المحاماة ، او الطب ، او الصيدلية .

أترى ماذا يفعل ؟ ايلتحق باحدى هذه الكليات وآنذاك يضمن العيش الحسن والمستقبل الارغد .. ام يختار كلية الهندسة فيخط لنفسه اتجاها واضحا ويمضي مع ذلك الاتجاه رغم الصعاب التي ستعترضه ورغم قلة عدد طلاب هذه الكلية ؟

ترى ماذا يفعل ؟

واخيرا صمم .. انه عزم على ان يلتحق بعدة معاهد كي يجرب طاقته الذهنية وينمي معارفه ، ويغترف من مناهل الثقافة العذبة .

لقد كان رائده التحصيل على المعرفة ليخدم بلاده وينفع شعبه ، اما ذاته فيكفيه ما عند والده من سعة ثراء ، ورخاء عيش .

تابع اولا دراسته في معهد « سان لوي » فتعلم العلوم الحسابية في هذا المعهد ، ثم التحق بمدرسة : « البوليتيك » وفيها قام بتحليل نظرية لم يقع تحليلها من قبل تحليلا محكما ، ثم انخرط في سلك تلامذة المدرسة القومية للمناجم لمدة سنتين وتحصل فيها على كثير من المعارف ، كما انه حل مشكلة هامة تتعلق بالمرونة والتمطط نالت اعجاب اساتذته واستحق عليها الشكر والثناء ، كما التحق « بالسربون » واحرز منه على الاجازة في الآداب ، كما فاز بالاجازة من كليتي «العلوم والحساب» و «بالديبلوم» من المدرسة الحرة للعلوم السياسية .

وتطلع طلبة المغرب العربي الى هذا الشاب الذي فاز بكل هذه الشهائد ، وتسابقوا الى استقصاء كل اخباره ...

أفليس هو واحد ممن انجبتهم بلاد المغرب العربي وممن ينبغي ان يفخروا به لاستقامته وجديته وذكائه وبعد نظره ؟

ودفعهم الشوق الى التعرف على هذا الشاب الجامعي التونسي المنبت الذي ينحدر من مدينة بنزرت الكائنة بأقصى شمال البلاد التونسية .

كانت ولادة هذا الشاب بهذه المدينة في ١٥ ديسمبر ١٩٠٦ وبعد ان تعلم بمدرستها الابتدائية ، التحق بالمدرسة الصادقية بالعاصمة وفيها أحرز على « الديبلوم » ثم انخرط في سلك تلامذة المدرسة العليا للغة والآداب العربية واحرز على كل شهائدها الثانوية بتفوق قبل ان يلتحق بباريس .

عائلته : وتنحدر عائلة هذا الطالب الالمعي من بلدة رأس الجبل التي تبعد عن بنزرت ٣٢ كلم وقد مضى على استيطان هذه العائلة بهذه البلدة ما يقارب المائة والخمسين عاما وليس ادل على هذا من الحديث الذي افرده المؤرخ احمد بن ابي الضياف عن احد افراد هذه العائلة وهو العالم الفقيه الشيخ محمد العنابي قاضي راس الجبل في عام ١٨٤٦ عند تعرضه بالكلام عن احمد باشا الاول .

لقد ذكر هذا المؤرخ ان الفقيه الشيخ محمد العنابي التجأ الى مقر السفارة البريطانية وذلك عندما امر صالح شيبوب امير عسكر غار الملح على اخذ ابني القاضي المذكور للعمل بسراية غار الملح عنوة رغم عدم علم احمد باي بهذا الامر ، اذ كل ما يعلم هذا الباي هو ان المهندسين وصالح شيبوب نفسه اعلموه وحدثوه كثيرا بأن هذا المرفأ الجديد سيكون اول مرفأ في حوض البحر الابيض المتوسط .

اما والد هذا الباحث الكبير فهو السيد البشير العنابي من مواليد بلدة رأس الجبل وبها زاول تعليمه الابتدائي ثم انتقل الى المدرسة الصادقية ، وبعد ان تحصل على « الديبلوم » منها باشر العمل الاداري كمترجم في المراقبات المدنية وقد ذكر مؤلف « النزهة الخيرية » ان البشير العنابي قد تولى هذه الخطة عام ١٨٩٧ بجندوبه ، كما وان آخر مركز عمل فيه في نطاق هذه الخطة هي مراقبة بنزرت قبل ان يصبح كاتبا عاما لبلديتها .

لم يقض السيد البشير العنابي مدة طويلة بهذه البلدية

اذ سرعان ما استقال منها بسبب نشوء خلاف بينه وبين الكاهية المفوض للبلدية المعروف بحب سيطرته وبطشه وبعدم احترام التونسيين مهما كان الوسط الذي ينتمون اليـه .

ومرت الايام كالبرق الخاطف ويقترح عليه ان يترشح للمجلس الكبير عام ١٩٢٢ وفعلا لبى هذا الاقتراح فانتخب كاهية لرئيس القسم التونسي من ذلك المجلس .

وحسب توصية تلقاها من زملائه قدم في ذلك العهد مذكرة الى المقيم العام الفرنسي ضمنها رغبة سكان الجهة وشوقهم الشديد لاجراء اصلاحات في الميادين الاقتصادي والاداري .

وقد اغضبت لهجة المذكرة السلطة الفرنسية حيث اعتبرتها منافية لمهمة المجلس (الاستشارية) ومما يؤكد لنا هذا هو تعقيب صحيفة « الدبيش » على هذه المذكرة بعددها المؤرخ بيوم ١٩٢٥/٢/٢٢ مما اضطره الى الرد عليها بمقال نشرته لــه النهضة تحت عنوان : « اظهار حقيقة » .

ان الذي ينبغي ان يستنتجه كل باحث نزيه من خلال جولة مع صحافتنا التونسية القديمة هـو ان السلطة الاستعمارية تهرت شعبنا وكبلته بأقسى القيود ، ولن يردها رادع ان هاجمت التونسيين حتى ولو كان من ابناء الذوات الموالين بعض الولاء اليهم خاصة حينما تلاحظ بعض المظاهر التي تدل على انه من بين ابناء اولئك الذوات من ينوي ان يحل محلهم في اي ميدان كان .

ومما يثبت كل هذا بوضوح انه وحتى في هذه القضية بالذات ان حملة جريدة « الدبيش » على والد محمد علي العنابي ليست العريضة فحسب بل هناك ايضا سبب خفي ايضا يتمثل في شرائه لمزرعة كانت ملكا لاحدى الشركات الفرنسية .

فهذه المنافسة اعتبرتها السلطة الحاكمة تتنافى مع الاختيارات الاستعمارية ومع القوانين الفلاحية التي سنتها وحتى مـع النصوص الملحقة التي صدرت عقب امضاء معاهدتي باردو والمرسى .

عصره : نشأ الفقيد محفوفا برعاية والديه وعاش في الفترة التي تمتد بين عام ١٩٠٦ و ١٩٦٢ وهي الفترة التي عرفت فيها البلاد ضعف دولة البايات وازدياد النفوذ الاجنبي بمقتضى القوانين الجائرة والاوامر والقرارات التي عرفت في مجموعها فيما بعد باسم « النصوص الملحقة » .. لقد شاهد عملية تطبيق هذه القوانين التي مكنت فرنسا من التدخل في شؤون البلاد ومن الاستيلاء الكامل على خيرات الشعب والانفراد بأجهزة الحكم ، وبجانب هذا امكن له ان يرى المحاولات المبذولة من طرف مثقفي بلاده للابقاء على الشخصية التونسية والحفاظ على اصالتها امثال : علي باش حامبه ، وعلي بوشوشه ، وعبد العزيز الثعالبي ، ومحمد علي ، والحبيب بورقيبه ، وفرحات حشاد .

كما تتبع ما كان ينشر في صحف ومجلات عصره مثل : «الحاضرة» و «الترقي» و «سبيل الرشاد» و «الصواب» و «الزهرة» و «العمل» و «النهضة» و «الحرية» و «لواء الحرية» و «المباحث» و «العالم الادبي» و «تونس المصورة» و «الزيتونة» و «الافكار» و «الندوة» و «الفكر» .. انه اطلع على كل ما كان ينشر وقارن بين حال التونسيين من فترة الى فترة ، فأحب ان يكون جنديا من جند هذه البلاد يغار عليها ، ويدفعها الى الامام ، باتكابه على المعرفة ، والتطلع الى المستقبل البسام .. لقد انخرط في عدة كليات وتلقى فيها الكثير من المعارف وبز فيها اقرانه ، ثم بعد هذا شارك اخوانه التونسيين والمغاربة في نشاطهم الثقافي وتعرف على مشاكلهم وحاجيات بلدانهم .

انه عاش كل احداث عصره وتتبع اخباره وتفاعل مع ابناء بلاده سواء ايام اقامته بفرنسا او في « جمعية نجم شمال افريقيا » التي انتخب لرئاستها عدة مرات او في « قدماء الصادقية » لما اختير لادارتها والاشراف عليها .

كما كانت له مشاركات ذات بال ايام الازمات التي يتعرض لها الوطن فيعقد ندوات صحفية بالخارج ويعرف بقضايا وطنه ، ويبلغ صوت بلاده عاليا في المحافل الدولية .

واثر تحقيق انتصارات الشعب التونسي ساهم بجد في كل مشروع للتنمية قدم اليه فاضفى عليه من خبرته وتجاربه ومعارفه كل ما يؤمله كل تونسي للبلاد التي انجبته وهو بهذا الجهد يكون قد عاش كل اطوار امته وعمل في المنهج السوي الذي ارتضاه ضميره .

عاش محمد علي العنابي في فترة مضطربة شاهد فيها الشعب كل الوان المظالم والتعديات فراى سوء تصرف الشركات وقمع محاولات الاصلاح الاجتماعي ، وتقمص الحركة الوطنية في شكل كتـل تجمعت حـول جرائد : « الحاضرة » و « المنتظر » و « المبشر » و « سبيل الرشاد » و « الرشدية » و « الزهرة » ، كما عاش فترة الوعي بالزيتونة وتأسيس الجمعيات الرياضية ، وثورة ابن عسكر عام ١٩١٥ وتأسيس الحزب الحر الدستوري عام ١٩٢٠ وانبعاث الديوان السياسي في ٢ مارس ١٩٣٤ والمقاومة التونسية التي اندلعت ايام ٩ افريل ١٩٣٦ و ١٨ جانفي ١٩٥٢ و ١٩ جويليه ١٩٦١ .

ومن الطبيعي ان يتأثر هذا المثقف بمثل هذه الاحداث وان يساهم بمجهود لا بأس به في بعضها كما سنبينه فيما يلـي :

انه درس في عدة كليات وتحصل على شهائد جامعية كثيرة ، وقدم عدة بحوث علمية ، وشارك في كثير مـن المؤتمرات الدولية ، وكتب مجموعة من المقالات والدراسات الدسمة في عدة مجلات عالمية ، وقد استلفت هذا النابغة الافريقي انظار كبار اساتذة باريس فأصبح نبوغه حديث

كل النوادي الثقافية الامر الذي قرر بموجبه « معهد السربون » في عامي ٣٢ و ٣٣ ان يكلفه بالقاء محاضرات في كليات الفلسفة والعلوم والتاريخ فنال بهذا الشرف العلمي صدى كبيرا في كل الاوساط .

وامام هذا النجاح الذي احرز عليه في هذه المحاضرات طلبت منه جامعة « السربون » ان يتخلى عن جنسيته التونسية ليصبح استاذا رسميا بهذه الجامعة حسب قانون الوظيفة العمومية الفرنسية في هذا الشأن لكنه ابى قائلا لعميد هذه الجامعة : « اني تعلمت لانفع بلادي لا لانتفع شخصيا ولو بأسمى الوظائف في اعظم دولة من دول العالم(1) » .. ولا شك انه عبر بهذا الموقف عن وطنية صادقة ، وعن حب عميق للارض التي انجبته ، وللشعب الذي ينتمي اليه .

واثر عودته من فرنسا ظل يناضل في صلب جمعيتي « قدماء الصادقية » و « احباء الطلبة » ويسعى بكل جهد لنبعث عقلية علمية في البلاد تكون خير باعث على رقيها وازدهارها .. انه يفعل كل ذلك دون خشية او خوف لانه آمن : « بأن للمثقف رسالة وقد خلق لادائها مهما كان الثمن » .

كما لم يبخل بأي جهد عن الاجانب الذين يحلون بالوطن كلما حدثت ازمة سياسية فيقتبلهم باسم « قدماء الصادقية » او « جمعية المهندسين والفنيين التونسيين » ليقص عليهم ما تقاسيه تونس من قهر وظلم وقد استمر على هذا المنوال الى عهد المقيم الطاغية : « دي هوتكلوك » الذي حل بتونس عام ١٩٥٢ .

نشاطه الاجتماعي : لقد ساهم الفقيد محمد علي العنابي مساهمة فعالة في عدة مشاريع اجتماعية وثقافية سواء بباريس او بعد عودته لتونس وقد ابتدأ عمله الاجتماعي هذا حينما التأم مع جموع الطلبة المغاربة بباريس ايام دراسته هناك ، فكان يتصل بهم ويعمل معهم في ميادين الثقافة والمعرفة ، ولعل من ابرز مظاهر مساندته لزملائه الطلبة مشاركته في تأسيس جمعية « طلبة شمال افريقيا » بفرنسا عام ١٩٢٨ فقد ساهم في بعثها ثم كان عضوا عاملا في مجلس ادارتها .

وقد دفعه واجبه الاجتماعي حينما انتبه الى النقص الموجود في عدد الطلبة التونسيين الذين يتلقون الدراسات الفنية بمعاهد فرنسا فقام بعمل كبير واقنع الكثير من هؤلاء لكي ينخرطوا في كليات « الهندسة » و « الميكانيك » و « المعادن » ، ولم يكتف في هذا الشأن بالاتصالات فحسب بل تجاوز كل هذا فنشر تحريضا في نشرة الجمعية في سنتي ١٩٢٨ و ١٩٢٩ ناشد فيه الطلبة لكي يقبلوا على هذه الاختصاصات ويندفعوا نحوها .

(1) محمد الصالح المهيدي : ١٩٦٣/٤/١٨ جريدة الصباح .

واثر عودته الى ارض الوطن استأنف هذا النشاط من جديد ولكنه ليس في « جمعية طلبة شمال افريقيا » هذه المرة بل في جمعية اخرى هي جمعية « قدماء الصادقية » .

ومن المعلوم ان هذه الجمعية منذ ان تأسست عام ١٩٠٥ على يد المرحوم علي باش حانبه : (١٨٧٩ — ١٩١٨) الى عام ١٩٣٠ اقتصر عملها على القاء بعض المحاضرات ، وانشاء مكتبة صغيرة ، واقتبال بعض الوفود العلمية ، كما ان ناديها الادبي كان نشاطه هو ايضا مقصورا على تونس العاصمة فحسب فلم يتجاوز هذه المدينة قط سوى مرة واحدة قام فيها برحلة الى سوسه عام ١٩٢٥ حيث انشأ هناك فرعا لهذه الجمعية ، فلما باشر محمد علي العنابي رئاسة هذه الجمعية عام ١٩٣٤ ، غير هذا المنهج ، واحدث ثورة عظيمة بها .. انه قام بتشريك بقية طبقات التلاميذ بمختلف المعاهد العلمية مثل جامع الزيتونة ومدرسة اللغة والآداب العربية ، كما جعل من هذه المنظمة مركزا من مراكز الاشعاع الفكري ، فقامت في تلك الفترة بعدة اعمال في مختلف ميادين الحياة التونسية ومنها الميدان السياسي وبتمثيل ذلك في المظاهرات التي كان يقوم بها الطلبة عندما يصاب هذا الشعب بنكبات الاستعمار كنفي الزعماء او ابعادهم او ايقافهم في السجن(2) .

كما وجه هذه الجمعية نحو اعداد الاطارات العلمية والثقافية والفنية خاصة فيما تحتاجه البلاد من اختصاصات في العلوم الفعلية لتقوم الاطارات المتخرجة من التونسيين مقام الفنيين الفرنسيين .

والتفت الامة حول هاته المنظمة فكان عيد المعلم ، وكان نصف شهر الطالب ، وكانت الاعانات والتبرعات تعطى بسخاء لاولئك الذين تغربوا من اجل العلم(3) .

لقد شاهد كل من كان ينتمي الى هذه الجمعية او ينتسب اليها من بعيد ان روحا جديدة تسري فيها ، وان عملا هادفا قوامه اعداد الاطارات الفنية للبلاد يغزو نشاطها للاسهام في معركة تنمية طاقات الامة ودفعها نحو التحرر والبناء .

فكان انشاء النوادي التالية مثل :

نادي البحوث الفلسفية والاجتماعية الذي ترأسه بنفسه ، ونادي الشؤون الاقتصادية الذي ترأسه المرحوم الطاهر صفر ، ونادي البحوث التشريعية الذي ترأسه الاستاذ الهاشمي السبعي ، بمثابة الركائز القوية التي دعمت عمله الثقافي هذا ومهدت اليه .

كما ان المواضيع والدراسات والبحوث التي وقع الخوض والنقاش فيها مثل : تطور المذاهب الاقتصادية ، ونظرية التقدير وتطور القوانين ، والاسنان والقانون ، وتأثير التطور الفكري على التطور الاقتصادي ، وصلة

(2) راجع مجلة الندوة ص ١٠ جانفي — فيفري ١٩٥٧ .
(3) راجع مجلة الندوة ص ١٢ جانفي — فيفري ١٩٥٧ .

الروح بالجسد ، والمعرفة ، وقوانين الصدفة ، بمثابة المنابر الحرة التي يلتقي فيها الطلبة برجال الفكر والعلم في تونس قصد استقصاء كنه المعرفة والتعرف على مدى نضج الفكر في تونس وقدرته على توجيه الراي العام نحو العلوم التقنية التي تحتاجها البلاد .

اذن فالذي يمكن ان استنتجه من خلال الجو الفكري الجديد الذي شع في ارجاء نادي « قدماء الصادقية » وفي فكر كل من كان يؤمها في تلك الفترة ، هو ان محمد علي العنابي مثقف ملتزم للمواد التقنية والعلمية وقد فكر كثيرا في النقص الذي تشكوه البلاد مدة اقامته بباريس في العلوم وفي الاطارات الفنية فأراد ان يخلق جوا علميا ومجموعة كبرى من البحاثين والعلماء لكي يساهموا في توجيه الفكر التونسي وجهة علمية وفلسفية فتضاف حصيلة جديدة في سلم الثقافة التونسية تنهار امامها كل المضايقات التي كانت تسنها السلط الفرنسية آنذاك .

ولم يقتصر نشاطه الاجتماعي عند هذا الحد ، اذ ساهم ايضا في جمعية « احباء الطلبة » التي تأسست لجمع الاعانات والتبرعات لفائدة التلاميذ المعوزين الذين ليس في امكانهم تحمل اعباء ومصاريف التعلم في الخارج وكان يعاضده في ذلك المرحوم الدكتور محمد التلاتلي رئيس هذه الجمعية .

ومن لا يثني على هذا المفكر حينما يتذكر مساعيه الخاصة وجهوده العظيمة لاعانة طلبتنا اثر توقف نشاط الجمعيات على اثر حوادث ٩ افريل ١٩٣٨ .. فقد بذل الفقيد محمد علي العنابي جهودا عظيمة في سبيل اعانة الطلبة فنظم نصف شهر الكتاب لاعانة الطلبة وفتح اكتتابا لفائدتهم بداية من غرة مارس سنة ١٩٤٦ ، ولما اتسع نطاق عمله في هذا المشروع في عام ١٩٤٧ طبع بطاقات باسم « يوم العلم » وزعت في كامل الجمهورية بمساعدة المنظمات القومية .

محمد علي العنابي .. العصامي : لقد جاهد محمد علي العنابي من اجل خلق نهضة علمية في بلاده ، وضحى سنوات عديدة لبعث هذه النهضة .. انه ابتداها منذ ايام اقامته بفرنسا واثناء تعلمه في « السربون » فأراد ان يهيء لهذه النهضة جيلا من الشباب المثقف ليتعاضد معهم من اجل تحقيق هـذه الامنية .. هيأ لهذه النهضة اسباب الانطلاق اولا بفرنسا اثناء نشاطه في « جمعية طلبة شمال افريقيا » ثم بتونس عند رئاسته لجمعية قدماء الصادقية على اثر عودته لتونس .

لقد شاهد المهندس محمد علي العنابي ما يعانيه المثقف التونسي من امتهان وحقارة من الاجنبي رغم اهمية الشهائد التي يكون قد تحصل عليها فالاستعمار يقف حائلا لكل تونسي ويحاربه بكل سلاح .. وهذا ما حدث لـه بالذات ، فعند عودته الى تونس بدل ان يجد مكانته في المجتمع كمثقف يحمل شهائد جامعية كبرى الحق بادارة الاشغال العامة كموظف بسيط فقامت الصحافة التونسية بضجة كبرى في هذا الشأن(٤) وفضحت سياسة المستعمر ، وشهرت بتعنت مدير الاشغال العامة الذي لا يحمل شهائد عليا كما يحملها المهندس : (محمد علي العنابي) .

وامام هـذا الجو المهرب صدر الامر المؤرخ في ١٩٣٣/٧/٣ يقضي بتشريك المثقفين التونسيين في الوظائف السلمية لكن طبق رغبة مديري الادارات من الفرنسيين فقبل الفقيد هذا الحل المنقوص ، وبموجب هذا عين مهندسا مساعدا لرئيس مصلحة المناجم وفتح الباب لاول مـرة للتونسيين منذ الاحتلال عام ١٨٨١ .

لكنه وعلى الرغم من هذه المضايقات التي اصطدم بها ظـل صابرا وواجــه الصعاب برباطة جأش وشجاعة نادرة .. فأوقف حياته في خدمة مشاريع بلاده وخاصة الثقافية منها ونشر عديد البحوث الفلسفية والعلمية في كبريات مجلات العلوم في شتى البلدان بل ان اغلبها كانت تتسابق اليه لينشر فيها بحوثه وتعاليقه وآراءه ، ولعل من اهم البحوث التي نشرها بحث طويل حول : « استعمال الذرة في الاغراض السلمية » ، نشر هذا البحث على اثر انفجار قنبلة « هيروشيما » التي اطاحت باليابان .

فقد دفعه شعوره الانساني الى التشهير بهذه الجريمة والى اضاءة الطريق للبشرية لكي تستفيد مـن الذرة في الاغراض السلمية .

وقد بلغ بفضل هذه الدراسات قمة المجد العلمي فعد من اعلام الذرة ومن مشاهير المهندسين في العصر الحديث .

ولكي يزيد من انتاجية عمله الهادف هذا ، انخرط في الوكالة الدولية للطاقة الذرية التي كان مقرها مدينة « فينا » عاصمة النمسا بصفة شخصية .

وابتداء من ذلك التاريخ دهش العالم بما وصل اليه هذا المفكر من سعة معرفة في ميدان الابحاث الذرية ، ونتيجة لهذا كانت فرنسا تفاخر بما يقدمه هذا العبقري من موضوعات ودراسات فتعزو ذلك الى ان الفضل فيه يعود الى المهندس محمد علي العنابي من خريجي مدارسها وقد تناست انه يحذق عدة لغات وان ذكاءه وفطنته هما من اسباب تفوقه وتضلعه في هذه الابحاث .

نشاطه اثر الاستقلال : واثر حصول تونس على استقلالها عام ١٩٥٦ اندفع الفقيد في كل عمل رأى فيه نفعا لمواطنيه اندفاعا لا نظير له وبالاخص في ميادين الذرة والتكنولوجيا .. فقد سعى الى تشريك تونس في « الوكالة الاممية للذرة » وحضر مؤتمرها المنعقد « بفينا » في اكتوبر ١٩٥٧ ، فاطلع على وضعها العام وقدم تقريرا هاما لانجاح

(٤) راجع : الزمان : محمد الصالح المهيدي .

في هوى بنغازي

حي « بنغازي » والهوى بهواها	وسنا الحب نوره غطاها
قد أتى الحب في عشية يوم	وصحا الشوق في الحشا فشواها
فعيوني مكحولة بسهاد	عاشقا ليلها محبا ضحاها
ملكين رأيت جاءا حلالا	يوم جالا بأجنح في سماها
يبعثان الجمال والصحو فيها	يودعان الاسرار في أولياها
يصعدان السماء والارض تطوى	في سكون الزمان قد تركاها
وصرفت السنين صبا مشوقا	في هواها مضيعا في رباها
وذرفت الهتون لا ادمعات	كالمحبين سكرة وانتباها
وانعتاقا وبسطة وانقباضا	وائتلافا وصحوة واشتباها
وجفاني الرفاق فردا معنى	سحرتني بحسنهن نساها
قاتلات باللحظ او عابثات	بقلوب شبابها اسراها
نظرة من خريدة تتثنى	في حنايا الزقاق ما احلاها
يقظة الحس يقظتي حيرتني	وجراح العيون لا انساها
وسرى الود في القلوب مشعا	قمر الحب والهوى اضواها
اجر يا ماء من عيوني شئونا	كالسواقي تسيل في مجراها
فمن الغيب قد اطلت حيالي	روح شيخ بمقلتي اراها
قد تجلى الشريف غوثا ويكنى	بالشريف (الزوام) سبع حماها
هو كنزي وعدتي وملاذي	ومعيني وقدوتي في هداها
هو روح كبيرة نورتني	وهدتني الى السما وعلاها
اي سر من روحه يتجلى	اي نشر يضوع من مرآها

بنغازي — ليبيا

صلاح الدين جبريل

عمل هذه « الوكالة » ، كما بلغ احتياجات تونس لهذه المنظمة في ميدان الطاقة ، كما نادى في عام ١٩٥٨ — وفي مؤتمر هذه الوكالة بالذات — بأن تونس في حاجة اكيدة للتحصيل على مساعدات دولية لتستطيع مواجهة حاجياتها الاقتصادية .

واثر هذا كلف بانشاء مصلحة للابحاث العلمية والطاقة الذرية وترأس عدة وفود تونسية في مؤتمرات دولية للذرة ، مثل مؤتمر عام ١٩٥٨ الذي انعقد في شهر سبتمبر « بفينا » .

وعلى ضوء هذا النجاح الذي احرز عليه في المؤتمر الثاني للذرة عام ١٩٥٨ اختير لادارة « كوميسارية الطاقة الذرية بتونس » التي تأسست سنة ١٩٥٩ وقد ركز هذه الادارة وجلب لها المخابر والمعدات لكي تقوم بدورها في تنمية الاقتصاد ونشر بحوث السيطرة على المناخ فقوبل عمله هذا بالاكبار والاجلال وبقي في هذه الوظيفة الى ان توفي يوم ١٩٦٢/٤/٤ ودفن بتونس .

وهكذا قضى محمد علي العنابي حياته في الانكباب على المعرفة والتضلع فيها ، ثم في نفع مواطنيه في عدة مشاريع تحمل مسؤولياتها ، ورغم المظالم التي لحقته من جراء الاستعمار فقد صبر وتحمل المشاق في سبيل خلق « عقلية علمية » فعاش ملتزما لهذا الهدف الى ان فارقنا الى دار الخلد .

بنزرت — تونس

رشيد الذوادي



رستم كيلاني

الشاعر قاسم مظهر

بقلم رستم كيلاني

***

هل اذا مت ووريت الترابا ومضت روحي الى حيث الخلود
هل ارى في القبر ذلا وعذابا مثلما كانت حياتي في الوجود
قاسم مظهر

في ٢٨ يونيو ١٩١٦ وفي ليلة النصف من شعبان ولد شاعرنا المرحوم قاسم مظهر في حي الخليفة بالقاهرة من اسرة تمتد جذورها الى الاصل العربي والتركي ، واكثر اجداده تقلدوا مناصب كبيرة في الجيش ، وكان منهم طاهر باشا مظهر الذي كان محافظا بالاسكندرية ، وابراهيم بك مظهر الذي كان قائدا للمدفعية في عهد ابراهيم باشا ، ووالده المرحوم محمود مظهر من محبي الخط العربي ، وشقيقه المرحوم عبد الحميد لطفي مظهر الذي كان استاذا بكلية علوم جامعة عين شمس ، ورغم حصوله على اكبر درجاته العلمية من جامعات لندن كان محبا للشعر ومن ناظميه وقد اسهم في الحركة العلمية بالكثير من مؤلفاته التي قامت بطبعها وزارة التربية والتعليم ومؤسسة فرانكلين . وكان عمه المرحوم امين مظهر مديرا للمطبوعات وشاعرا من الشعراء البارزين في عصره وكان يقدر شعره الشاعر محمود سامي باشا البارودي ، وخاله احمد زكي الكاشف من كبار المهندسين المعماريين ، وكان كاتبا روائيا ، ومن حبه للادب اصدر جريدة (الوفاء) التي لم تستمر طويلا .

التحق شاعرنا المرحوم قاسم مظهر بمدرسة السلحدار الابتدائية ، ثم بالمعارف الثانوية ، ثم بجامعة عين شمس حيث حصل على بكالوريوس التجارة .

وقد تقلد عدة وظائف مختلفة ما بين وزارة الحربية ، ووزارة الارشاد القومي ، ووزارة المالية ، واخيرا وزارة التجارة (وكالة الوزارة لشؤون البحوث الاقتصادية) .

ورغم اتجاهه الواضح نحو دراسته العلمية فقد شغف بالادب الذي ظهر على مسرح حياته ، وساعدته على الاندماج في الاوساط الادبية مجموعة كبيرة من الرواد الاوائل الذين كان لهم الفضل والاثر الطيب في توجيهه ، وتثقيفه ، فقرأ الادب الاتباعي الاصيل على ايدي الاساتذة الاجلاء المرحومين : كامل كيلاني — محمد صادق عمبر — الدكاترة زكي مبارك — طه حسين — عباس محمود العقاد ثم الشيخ حسن القاياتي الذي رواه من منبع الادب العربي والذي كان يعرض عليه شعره لينقحه وليهديه سواء السبيل .

نشر شاعرنا المرحوم قاسم مظهر شعره في اكثر الصحف والمجلات المصرية والعربية خلال الفترة من ١٩٣٤ — ١٩٧٤ وكان من بين هذه الصحف والمجلات التي اهتمت بنشر قصائده الشعرية :

— جريدة الاهرام في عهد الاستاذ انطون جميل
— جريدة الجهاد في عهد الاستاذ توفيق دياب
— جريدة روز اليوسف في عهد الاستاذ عباس محمود العقاد
— جريدة الوادي في عهد الدكتور طه حسين
— مجلة الثقافة في عهد الاستاذ احمد امين
— مجلة الثقافة الجديدة في عهد الاستاذ محمد فريد ابو حديد
— مجلة الثقافة الشهرية في عهد الدكتور عبد العزيز الدسوقي
— مجلة الرسالة في عهد الاستاذ احمد حسن الزيات

وكذلك مجلات : المقتطف — ابو الهول — الصباح — الراديو — الشعر — الاديب (اللبنانية) — الجديد — منبر الاسلام — المسلم — البيان .

اما بالنسبة للاذاعة سواء المسموعة او المرئية فقد بلغت مقطوعاته الغنائية اكثر من خمسمائة اغنية تغنى بها الكثير من المطربين والمطربات في عصرنا هذا .

وفي عام ١٩٥٠ صدر لشاعرنا قاسم مظهر ديوان (حفيف الغابة) بمقدمة لفقيد القصة العربية الكاتب الكبير محمود تيمور نجتزىء منها هذه النبذة :

« ان من كسب الشعر هذا الديوان الذي يقدمه الشاعر الاديب قاسم مظهر فاذا قلت انه ينحو في كثير من طريف موضوعاته منحى التجديد في الشعر فانك على حق ، وان قلت انه شعر عربي صريح العروبة في متانة نسجه ولطف اخيلته وشغوف معانيه فلست تجانب الحق .

وانت على اية حال مستمتع بما يبسط لك من عواطف رقيقة تنتقل بك بين الوجد والطرب ، فتحمد للشاعر تعبيره ، وتقاسمه شعوره » .

وبهذا الديوان استطاع قاسم مظهر بجدارة ان يقف في مصاف كبار الشعراء ، كما له اكثر من سبعة دواوين مخطوطة معدة للطبع تمثل طاقته الكبيرة فيما اخرجه من عشرات القصائد التي تتناول عدة موضوعات مختلفة وفي الحقل الاسلامي ومحيط الاسرة التي تتكون من ولدين وسبع اناث .

وقد قام شاعرنا قاسم مظهر بكتابة عدة مقدمات للمؤلفات الشعرية والزجلية منها مقدمة (ديوان الاسمر) ، و (الشرارة) لشيخ الزجالين عبد الفتاح شلبي وغيرها .

كما اسهم واشرف في تقديم الكثير من الندوات الادبية منها: جمعية الادباء ــ نادي القصة ــ الرابطة الاسلامية ــ العشيرة المحمدية ــ ندوة القباني الادبية ــ الشبان المسلمين ــ الشبان المسيحيين ــ رابطة الادب الحديث ــ هيئة خريجي الجامعات .

وتوفي الى رحمة الله في ١٧ من رمضان ١٣٩٥ هـ ــ ٢٢ من سبتمبر ١٩٧٥ م .

مختارات من شعره : وفيما يلي نقدم بعض القصائد والمقطعات الشعرية لشاعرنا قاسم مظهر الذي امتاز بمتانة الاسلوب الادبي من حيث الجذالة والاصالة واحياء الكثير من الالفاظ المجهولة ذات الدلالات الطيبة ، كما كان شاعري النفس ، شاعري التعبير ، حاد الاحساس ، مرهف العاطفة هكذا قال فيه « محمود تيمور » . ؟

الــى فنانــة

هــات قيثـارة الغـرام وغنـي   اغنيـات الهـوى فروحـي لديـك
داعبي العـود بالحنـان فيسمـو   بفـؤاد يصبـو ويهفـو اليـك
داعبي العود يا منى القلب حتى   ترتوي النفس مـن جمال يديـك
داعبـي العـود فالحيـاة غنـاء   عبقـري يفيـض مـن شفتيـك
كـل لحـن سمعته مـا شجاني   غـير لحـن يذوب مـن اصبعيك

لقــاء خاطــف

ظفرت برؤياها علـى غـير موعد   فسلمـت لكـن في تـردد مجهـد
وقاومت نفسي كـي تقاوم وجدها   فلـم تستطع صبرا وجنت تجلدي
واطرقت ممـا رابني خوف نظرة   تثـير خفايا النفس بعـد التهجد
وخفت علـى قلبي يصارعه الاسى   فيرتـد خفاقـا ويسقط في يـدي
ومـا حيلتي والحب ليس بمنطو   ومـا حيلتي والقلب ليس بمهتد

هــذي الحيــاة

هذي الحياة سفين ضـل رائدها   ودوحـة نبتت في ظـل اشجـان
لا تستقـر علـى حـال فنتبعها   كانهـا كـرة في كـف نشـوان
والكون مهمـا تراءى في مباهجه   فانـه صورة مـن حلم سكران

اخــي

اخي مـا قيمة الدنيا   وفيهـا كـل مجـروح
شقي كـل مـن يحيا   اسـير العقـل والروح

وفي ١٩٧٣/٨/٢٥ فقد الادب العربي الاستاذ محمود تيمور الذي كان صديقا حميما لشاعرنا الراحل ، فقال فيه مرثية طويلة بعنوان (دمعة وفاء) نشرت في مجلة (الجديد ــ اول اكتوبر ١٩٧٣) نقتطف منها الابيات الآتية :

قضت السماء بـان يفارق جمعنا   « محمودنا » واستشهد المصبـاح
عبر السنين فمـا تراخى جهده   يومـا ولا مـل الصعود جنـاح
خـط الكثير مـن الروائع وحيه   وثمـاره طابـت بهـا الادواح
والـى البيـان قديمـه وجديده   ولـه علـى متن السحاب براح
يهـوي ويؤثر كـل لفـظ مشرق   وفي علـى رحباتـه الافصـاح
قد كان « محمود » العظيم نموذجا   والصدق مـن صفحاتـه ينـداح
اصفـى القلـوب مـودة ومحبـة   يغدي بـه صفـو المنى ويـراح
يـا للتراب يضـم تحـت لوائه   هـذي الشمائـل والشذا فواح
هيهات يـا هـذا التراب تروعه   ورصيـده فـوق السنـا اربـاح
اضفى الخلود علـى الخلود بفنه   وجـه على افـق الهدى وضاح
هـذا التراث وانـه عنـد الحجى   قيم علـى شفـة الحياة فصاح

تعبت دموعي كـل يـوم نـازح   والمـوت غـدا بنـا رواح
في كـل يـوم راحل عـن دربنا   لـم يبق بعـد على الظلام صباح
عش في جـوار الله واسعد عنده   فسلامـة للواصلـين متـاح
واخلد حبيب العمر واغنم هانئـا   بنصيبـك الموفـور فهـو ربـاح

وبمناسبة الاحتفالات بالذكرى الثانية لمعركة اكتوبر العظيم صدر عن مكتبة دار الشعب ديوان (مصر اكتوبر) يضم سبع عشرة قصيدة لشعراء العرب المعاصرين من بينها قصيدة لشاعرنا الراحل قاسم مظهر بعنوان (بطل سيناء) نقتطف منها بعض الابيات التالية :

يـا ايهـا الجندي انـك بالهدى   اهـل لكـل مخلـد وممجـد
ان شئت اسلحة الدمـار قذفتها   ترمـي فتحصد كـل قلب انكـد
وعلـى يديك النور مؤتلق الضحى   للسالكـين وهالـه للمقتـدي
كم خضت في الماضي البعيد معاركا   واليـوم خضتها بالضياء الارشد
واجعـل عـدوك للـذي تختاره   واسلك سبيلـك للالـه الاوحـد
فالكـل في شرف الجهـاد موفـق   والكـل بـين مسبـح وموحـد
ان الدفاع عـن البـلاد امانـة   وحملتهـا بشجاعـة وتجلـد

وحسبي من كلمتي هذه المختصرة ان اكون قد وفقت في عرض بعض الجوانب من حياة فقيدنا العزيز الشاعر قاسم مظهر مع تقديم مختارات من شعره ذات اللمسات الشاعرية الرفيعة ، وهذا غير ما تركه من المخطوطات العديدة المعدة للطبع من شعره ، ودراسات مستفيضة للشعراء والادباء ، وكم كنا نأمل ان نراها مطبوعة قبل ان يودعنا ذلك الوداع المحتوم .

طابت ذكراه .. وأسأل الله ان نلتقي واياه علـى الايمان واليقين .

القاهرة   **رستم كيلاني**

منذ جلست نجوى وهي ترمق ليلى بنظرات الحسد والغيرة ، ومشاعر الحقد تمور في قلبها .. تمسح بعينيها بقايا الزينة العالقة بوجه ليلى رغم انها بقايا زينة الا انها اضفت على وجه ليلى جمالا يشد الانتباه .. ربما من سحر المناسبة — خاصة — بالنسبة للفتيات فهي ليلة من ليالي العمر التي تتوق كل فتاة اليها ، وتنتظرها بفارغ الصبر ، وربما لان ليلى دون زينة تتمتع بجمال هادىء اصيل حبتها به الطبيعة من حولها ، وربما لان التناقض في موقف حساس كموقف الامس .. اصاب دمها بالتجمد ، على لونه الاحمر القاني .. التناقض الذي انتفض فيه الدم نشوان بالسعادة ، وانتفض نفس الانتفاضة شعورا بالتعاسة .. كان الموقف عصيبا للجميع .. فلا التهاني تليق بالمقام ، ولا المواساة ايضا تليق به .. احتارت ام ليلى حيرة عايدة في مكان آخر من الدار .. هل تقدم للزائرتين الشربات ام تقدم لهما القهوة السادة .. ؟ ..

هزت عايدة راسها ، لا تدري هل تقول لعروس ابن عمها : « الف مبروك وعقبال الزفاف » ام تقول كما سمعت من افواه بعض الذين شاهدوا الحادث : « قدر ولطف .. كانت الرصاصة ستصيب شعبان في راسه » ..

لكن الصمت لم يدم طويلا .. فالنساء فنانات في اختلاق مجالات للثرثرة — بمناسبة وبدون مناسبة — اخذت عايدة تنقل مشاعر زوجها رجب الى ليلى .. تصف كيف اصابه الحزن فلم يتناول عشاءه ، ولم يغمض له جفن طوال الليل .. يتقلب في فراشه .. يضرب كفيه مندهشا مستغربا .. ومن خلال كلامها لمحت الى تهكم امها عن شعبان ، وعن انه طوال عمره منكود الطالع .. يلازمه سوء الحظ .. لولا ذلك لقبلها زوجة له بدلا من رجب الذي استحوذ على كل ممتلكات ابيها .. ومع ذلك فهو يذلها ويهينها ويرى نفسه كبش الفداء الذي لولاه لما تزوجت ، ولما وجدت من يتزوجها .. ولظلت عانسا حتى الآن مثل نجوى ..

مصمصت عايدة شفتيها وهي ترمق نجوى ، والكلمات تسقط داخلها : « كان المتعوس اولى بلحمه ودمه » ..

نظرت نجوى الى عايدة وهمست في نفسها : « ها هي ابنة عمه تنتقم منه على طريقتها الساذجة ، وكل اهل البلدة يعرفون كم بذل ابوها ماء وجهه من اجل تزويجها من ابن اخيه .. شعرت بمشاعر افتخار وعزة لم تلبث ان ماتت .. كانت تود ان تكون قصة رفضها لشعبان مثار فخر لها على مدى الايام لو تزوجت..



انتقام عانس

بقلم جمعة محمد جمعة

لكنها تأسف لعدم زواجها حتى الآن واعتبار اهل البلدة رفضها لشعبان منذ سنين طويلة تمردا نالت عليه جزاءها باعراض كل راغبي الزواج عنها .. تشعر بالرغبة في الاطباق على عنقه وخنقه اذ خيل اليها ان سوء الحظ انتقل اليها بالعدوى ، وقد بذلت امها المستحيل لفك عقدتها .. صحبتها معها تجوب القرى والبنادر الى المشايخ ، وامتلأ صدرها بالاحجبة والتمائم ، ولجأت الى الخاطبة ، والسنون تكر وتفر حتى شارفت على الثلاثين من عمرها ولم تتزوج ..

هزت نجوى راسها لتبعد تلك الخواطر القديمة ، ونفث شيطان الشر في صدرها رغبة متعطشة للانتقام .. تستعرض في راسها كل الوسائل والطرق بحثا عن ثغرة ينفذ منها سمها الزعاف الى جسد الحياة الجديدة بين ليلى وشعبان ، وفجأة برز في ذهنها ما سمعته عن المرض الذي اصابه .. قالت متوجهة بحديثها الى عايدة :

— هل برأ ابن عمك شعبان من مرضه الذي قيل انه معد ؟

قالت عايدة في سذاجة الريفية التي لم تنل اي قسط من التعليم او الثقافة، ولا اقل القليل من الوعي :

— برأ والحمد لله .. وان كان المرض ينتابه اذا تعرض للبرد الشديد او الحر الشديد ..

مسكين .. كان على شفا الموت لولا عناية الله ..

نقلت ليلى عينيها بين ضيفتيها وعلى لسانها يقف سؤال اخرس تود النطق به .. لكنه بدا ملتصقا بلسانها التصاقا شديدا .. اخذت انفاسها تتلاحق ، ونبضات قلبها ترتفع ، وتدوي في الخواء الذي ملأ راسها ..

نظرت ليلى الى الزائرين في غضب وثورة .. انتابها توتر عنيف .. توشك ان تطرد ضيفتيها وتصب فوق راسيهما غضبها .. تدفعها رغبة اخرى الى الصراخ بالنداء على شعبان .. تريد ان تعرف منه كل شيء عن نفسه .. شعرت بالدوار وهي تستعيد ما سمعته وكأن دوامة عنيفة تدور وتلقي بها في غياهب الهاوية ..

هبت واقفة .. تبعت نجوى وعايدة اللتين قبلتاها قبلات النفاق والكذب .. شيعتهما حتى باب القاعة .. استدارت عائدة الى مجلسها والقت بنفسها في انهاك وارهاق ..

دخل شعبان ورآها منكفئة على

الملاح والعاصفة

تتقاذف الامواج قاربه الصغير
ويداه بالمجداف تضرب
دون جدوى
فالبحر حين هياجه وحش خطير
وعليه مهما اشتد لن يقوى !
والجو اصبح مكفهرا وجهه
والليل جاء فضاعف البلوى
يا ايها الملاح يومك عاصف
ويد الطبيعة بأسها عات شديد
والريح تزأر في الفضاء كأنها
قطعان آساد تفر من القيود
وتسوق ارتال الغيوم امامها
كالقائد المنصور يزحف بالجنود
والبرق يقتحم الظلام وميضه
فتردد الاصداء قهقهة الرعود
والبائس الملاح
يسأل ما المصير
والبوم تعزف فوقه اللحن الاخير
وشراع قاربه التعس ممزق
كلواء جيش خاسر مدحور
وقفت يدا الملاح عن تجديفها
ورنا اليه الموت من بين القبور
وطفى عليه الماء بعد ضياع قاربه
فهوى الى الاعماق
بعد افول كوكبه
فتلقفته جحافل الاسماك
في شوق كبير

عمان — الاردن رياض العزة

مساند الكنبة تبكي .. قال منزعجا وهو يحاول رفع راسها :

— ماذا بك يا ليلى ؟

قالت وهي ترفع اليه وجها مفرقا بالدموع :

— من ؟ .. شعبان .. ؟

قال شعبان وهو يجلس بجوارها :

— اجل يا ليلى .. ماذا حدث ؟ .. ماذا قالتا لك .. انني اعرفهما .. كلتاهما عدوة لي ..

قالت ليلى وهي تجفف دموعها :

— لا شيء يا شعبان ..

قال شعبان :

— لا يمكن .. دموعك تقول : حدثت اشياء كثيرة .. قولي يا ليلى .. لا بد ان اعرف ..

قالت وهي تشيح عنه بوجهها :

— لا .. ليس الآن ..

قال شعبان غاضبا وقد نفذ صبره :

— لا يمكن ان احتمل ذلك .. لا بد ان اعرف ما حدث .. لا شك انهما اساءتا الي ..

قالت ليلى مجهشة بالبكاء :

— شعبان ارجوك دعني الآن .. لا احتمل اكثر من ذلك ..

قال شعبان متضايقا :

— لماذا تزوجتني ؟ .. اكنت تعرفينني ؟

قالت وهي ترمقه حزينة :

— لا .. انا ايضا قبلت الزواج منك .. اكنت تعرفني ؟

— لا ..

هبت واقفة وقالت وهي تجز على اسنانها :

— شعبان .. لن يكون بيننا زواج الا اذا عرف كل منا الآخر ..

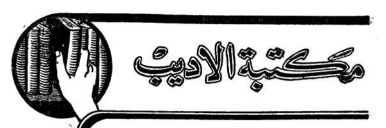
وغادرت القاعة مسرعة .. شيعها وهو يهز راسه ويتمتم : « انهما افعيان .. لقد افسدتا حياتي .. لكن لا بد ان افعل شيئا .. » ..

دق الارض بقدميه واندفع خارجا من القاعة .. اسرع دون ان يلقي بالتحية على حماه الذي هب خائفا وهرول وراءه مناديا عليه :

— استاذ شعبان .. شعبان ..

لم يلتفت شعبان وراءه .. ظل على اندفاعه كفرس جامح .. لكنه يدرك انه سيقف حتما من تلقاء نفسه ليعاود التفكير فيما حدث .. كان حرا .. ماذا دفعه الى الزواج ؟ .. لماذا تقدم الى ليلى ! لماذا اقترن بها .. لم يعد في استطاعته الفكاك .. ولا بد ان يعالج الامور بحكمة وصبر .. كان في الزمن الماضي يهرب من مثل هذه المشاكل .. لا يهتم .. لكنه الآن مضطر الى احتمال المكاره .. فكر في العودة ثانية .. لكنه آثر ان يذهب الى البيت ويرسل في طلب عايده ليقف على جلية الامر ..

القاهرة جمعة محمد جمعة



الانسان والشيطان

مجموعة قصصية تاليف ابراهيم المصري — ١٣٦ صفحة — العدد ١١٨ من سلسلة « كتاب اليوم » — ديسمبر ١٩٧٦ .

في اقاصيص الكاتب الكبير والقاص المبدع ابراهيم المصري ، احس للوهلة الاولى انه ينتصر للفكرة اولا . فالفكرة هي العمود الفقري الذي يبني عليه هيكل القصة . وقد يسأل سائل : وهل هناك قصة بلا فكرة ؟ . نعم لكل قصة فكرة او مضمون او مغزى . لكن ابراهيم المصري حين ينتصر لفكرته ، فان الفكرة تستحوذ على لبه ، وتسيطر على مقدرات شخوص قصصه ، فاذا بهم جميعا مربوطون بخيوط كعرائس المسرح ، والمحرك للخيوط كلها هو الفكرة المهيمنة على ذهن القاص . ولا عجب في هذا ونحن بصدد مجموعة قصصية تحت عنوان « الانسان والشيطان » ، تدور قصصها حول الشيطان المعربد في نفوسنا . وقد انتصر الاستاذ ابراهيم المصري لفكرة تسلط الشيطان على الانسان ، ووجوب الفكاك من غوايته ، واستنهاض الارادة الكامنة فينا . اقول انتصر المصري لهذه الفكرة ، فهو لم يكتب قصة واحدة ، وانما نسج خيوط مجموعة قصصية يجمعها نسيج الفكرة الواحدة ، وان تنوعت وتبدلت المتغيرات والمضامين من قصة لاخرى . لكن لا مشاحة في ان الكاتب قصد من المجموعة كلها هذا الشيطان المعربد في دخائلنا ، والذي نستعيذ بالله منه في كل صلاة وفي تلاوة القرآن .

الشيطان الذي يتقمصنا يتشكل في صور مختلفة ، فيقلب اوضاعنا ، ويجعل امور حياتنا تختل . وشياطين المصري تتوزع بين الحب والطمع والغـدر والحسد والمقامرة والكهولة والدهـاء والاستبداد والتعصب والعبقرية . وربما اكتفى بهذه الشياطين كامثلة لشياطين اخرى . ووجد فيما دبج يراعه الكفاية للانتصار للفكرة .

والحديث عن انتصار الفكرة عند ابراهيم المصري ، يدفعنا الى الحكم عليه بانه كاتب ملتزم . ولعل هذا ابرز ما يميز كتاباته . والالتزام نجده جليا واضحا في قصصه باسلوبها القاطع الحاسم ، وفي الصياغة القوية قوة الفكرة ورسوخها ، وفيما يكتب من مقالات تلتزم بالنصح المباشر وشحذ الهمم والطاقات الانسانية نحو الارادة والعزيمة وغيرها من الفضائل .

والحديث عن ابراهيم المصري ، هو حديث عن مفكر ناضج ، ومصلح قويم ، واديب انسان ، وقاص مبدع ، وكاتب مخلص لفنه . لا يترخص في الاداء ، ولا ينساق وراء شائع القول . وانما — كما اتخيله — هو صامد في صومعته ، مثابر في كتاباته ، لا يني ولا يتوقف عنده المدد والمداد . وقد وجه جل كتاباته نحو الفضائل والقيم الرفيعة ، لذا فلا غرابة اذا قلنا انه كاتب ملتزم ، التزام الاديب برسالته النابعة من وجدانه وفكره ، المستقلة عن غيره . هو نوع من الالتزام الذاتي ، وهو التزام محمود طالما نبع من نفس الاديب السمحة ، ولم يفرض عليه من خارجها . ولا غرابة ايضا اذا قلنا انه كاتب منتصر للفكرة ، يخلص لها ، من اول كلمة حتى آخر كلمة . والقصة عنده وعاء لتجسيد الفكرة ، او هي الثوب الذي ترتديه ، وفي ضوء هذا المفهوم يكون التقويم او النقد .

نتعرف في قصة « شيطان الحب » على عبد الغفار ، المحامي الناجح الذي انجذب الى امرأة لعوب ، واهمل شؤون بيته . ويدفعه الحب « الاحمق » الى تطليق امرأته ثلاثا . ثم يصدم بتصرف صديقه ، الذي عمل على تزويج من يحبها ، من احد الاثرياء ، حتى يصرف عنه وهم الحب لامرأة تغرر به . ولكن نفذ السهم ، وفات اوان الحل والربط . وقد شاء الكاتب ان يوضح كيف ينزلق الانسان وراء وهم الحب او شيطانه فيهوى الى الهاوية . واذا نوقشت القصة بهذا المفهوم ، تكون قد نجحت في نقل الفكرة الى الاذهان . لكن الحديث عن المعالجة القصصية ياخذ اتجاها آخر . وما اعترض عليه في هذا هو شخصية عصام الصديق الوفي الحريص كل الحرص على حماية صديقه عبد الغفار ، وأراد ان ينقذه من التردي في علاقة ضارة فيتهدم بيته . والى هنا ودور عصام الصديق واضح ومفهوم ولا غبار عليه . لكن عصاما — من اجل حرصه على عبد الغفار — يعمل على اقناع امينة — المرأة التي يلهث عبد الغفار وراءها — بالزواج من احد الاثرياء ، لتبتعد عن طريق عبد الغفار . وكانت قبل ذلك تسعى للزواج من ثري آخر . فهل امرأة لعوب كامينة ، يسهل اقناعها او فرض زوج ثري لتقترن به ؟ . اعيب على الكاتب رسمه لشخصية عصام ، المثالية جدا علاوة على تصرفها البعيد عن الواقع . والقصة في اطارها العام ، الى جانب الفكرة الجيدة والمعالجة الفنية ، ينبغي ان تكون منطقية وواقعية الاحداث .

وهذا شيطان آخر اسمه « الطمع » ، يتقمص نجوى وهي في مفترق الطرق . فمن اجل المال قضت نجوى عشرين عاما زوجا لعجوز مريض دميم . ثم اقترنت بشاب طامع لاه عاما وبضعة اشهر ، ثم آل بها الحال الى الاقتران بعجوز آخر وهو في الاصل حبيبها الذي كان يود ان ترافقه رحلة العمر من بدايتها ! .

واذا ما تملك الانسان شيطانه ، لا يتركه الا حطاما ، فلا مغنم له ، وتفقد حياته طعمها الحلو ، ولونها البهيج .

وفي قصة « شيطان الغدر » ، تفسر الزوجة حب زوجها المفرط ، وترجعه الى شبابها وصحتها ! . واغلب شخصيات الكاتب ناضجة وواعية لخوافي الامور . وتتيقن الزوجة من هذا ، اثر اصابتها بالسل الذي اوهن صحتها وصيرها من النقيض الى النقيض . ولعل اصابتها بالمرض من لزوم صنعة الكاتب القصصية ، لكنها صنعة متكلفة ، فالزوجة قبل مرضها ، قلقت من شدة تعلق الزوج بها ، وايقنت ان السبب يرجع الى صحتها . واذا بالكاتب — ليؤكد هذا — يسوق مرض الزوجة ، وكان الاجدر به ان يترك الاحداث تسير في طور طبيعي لا تكلف فيه . فالوسواس التي لعبت بعقل الزوجة ، كانت سابقة لاوانها ، فعلام القلق وهي زوجة شابة جميلة ، تحظى بحب الزوج ؟ . اما كان الاجدر بها ان تفاجأ حين داهمها المرض ، بتحول زوجها عنها الى صديقتها يسرية ؟ .

لكن الكاتب في غمرة احتفائه بالفكرة ، يقع في المحظور ، وتكون القصة مجرد تحليل منطقي لفكرته من خلال احداث قصة . فالخط الواضح للكاتب ان الفكرة تغلب المعالجة ، بينما من سمات الفن الناضج الموازنة بين الفكرة والمعالجة ، بين المضمون والشكل ، ومن خلال التناسق بينهما تبرز القيمة الجمالية .

ولنعد الى قصة « شيطان الغدر » . فقد طلق الرجل امرأته من اجل يسرية . وازاء وقوف الزوجة على حقيقة الامر ، ثار ثائرها ، واقبلت على الاكل بشهية حتى زايلها المرض وارتدت ثوب العافية . ويبدو ان الكاتب هنا يؤكد على ان علاج الادواء له شقان : الاول الادوية والثاني العوامل النفسية . وحين تماثلت للشفاء ، عرض عليها العودة ، ولا ادري المبرر وراء ذلك ، وقد تزوج امرأة غيرها . توافق على طلبه اذا هو طلق يسرية . وبعد الطلاق الذي لا رجعة فيه ، تنقض العهد ،

وتعرض عنه . لقد تملك شيطان الغدر من الاثنين ، تملك الزوج حين مرضت زوجته فطلقها ، وتملك الزوجة حين قبلت العودة اليه بعد تطليق الزوجة الجديدة ، ثم غدرت به .

ومن سياق قصص المجموعة ، نجد المصري يلجأ الى مساحة زمنية واسعة لتعطيه حرية تطويع الاحداث لفكرته ، مما يجعل قصصه اشبه بسيرة حياة . ولا يحق لاحد ان يعترض ويسميها روايات . فالمساحة الزمنية الواسعة لا تقلب القصة القصيرة الى رواية ، فالكاتب هنا يهمه في المقام الاول عرض فكرة اساسية . فاذا تحدث مثلا عن شيطان الغدر ، فانه يستعجل الاحداث فتكر كشريط سينمائي ، متجاوزا الجزئيات والتفاصيل ، نازعا نحو الكليات والنتائج ، فكاتبنا صانع فكرة بالدرجة الاولى . وما دامت القصة تعبيرا عن فكرة اساسية واحدة ، فلنسمها قصة قصيرة ، ولا يعيبها الطول الزمني ، وان كان فن القصة القصيرة اعمق من ان يكون مجرد تعبير عن فكرة ما . لكن هذا هو مفهوم القصة القصيرة عند ابراهيم المصري .

ومن استقراء قصص المجموعة ، نجد ان العلاقة بين الانسان والشيطان تحكمها قوة الارادة عند الانسان . ويكاد يكون عنصر الارادة هو سر عبقرية ابراهيم المصري . فاذا ما تجاوزنا هذه المجموعة ، وبسطنا الرأي على اغلب كتاباته ، نجده كاتبا ذا رسالة اخلاقية ، لا يني في الكشف عن ارادة الانسان وقوته الذاتية سواء بالقصة القصيرة او المقال . فنحن اذا ما قومنا ادب المصري في شموله ، وجدناه ادبا اخلاقيا بالدرجة الاولى ، وعلى دارس هذا الادب الاسترشاد بهدي هذا الجانب ، الذي يكشف شخصية المصري ويبرز عبقريته .

اعود الى حديثي عن عنصر الارادة الذي يحكم العلاقة بين الانسان وشيطانه . فمن خلال استقراء هذه القصص ، نجد الشيطان في حرب سجال مع ارادة الانسان . احيانا تنتصر الارادة ، كما نرى في « شيطان الكهولة » حيث تغلبت عاطفة الامومة فانتصرت على شيطان الكهولة الذي وسوس للام بالاحتفاظ بشبابها ، ثم تدرك في النهاية ان مصلحة بناتها اهم من الانقياد وراء الوسواس الخناس ، فتفيق ، وتصلح ما اتلفه الشيطان. واحيانا اخرى ينتصر الشيطان ، كما نرى في (شيطان المقامرة) . فالمقامر هنا ، يقاوم ثائره الذي يزين له المقامرة ، لكنه يضعف ، حتى يأتي الشيطان على ماله كله ، فيستدين ، وتنفصم العلاقة بينه وبين زوجته الحانقة .

ولكن المصري استثنى شيطانا من شياطينه ، والبسه ثوبا خيرا ، هو « شيطان العبقرية » ، حيث قص علينا عبقرية بيتهوفن الذي قاوم الصمم الذي عانى منه ، وكانت عبقريته الفنية اقوى مما اصابه . وانا اخالفه في ارجاع العبقرية الى وازع شيطاني طيب . نعم ، العبقرية تدفع الفنان او المفكر الى الاجادة والاصالة . وهي تنم عن موهبة دفينة . لكن المصري ارجعها الى « ثائر داخلي » يستوطن نفس صاحبها . ولا غضاضة في هذا ، لكننا ينبغي ان ننزهها عن افعال الشيطان . ولا يمكن التساهل هنا ، ونستثني شيطانا واحدا ونخلع عليه ثوب الفضيلة او الفن او الاصلاح . فالشيطان ، كما ورد في القرآن الكريم ، هو الرجيم ، وهو الوسواس الخناس . ونحن نستعيذ بالله من شروره . والشر ألصق بالشيطان ، حكما مطلقا ، لا رجعة فيه او مهادنة . ويمكن ان نقول « ثائر العبقرية » بدلا من « شيطان العبقرية » ، صونا للعبقرية التي تسعى لاسعاد البشرية والارتقاء بها في شتى المجالات .

وقولي هذا يجعلني اقف ايضا عند « شيطان الحب » ، تنزيها لصفة الحب . فالحب يسمو بالنفس ، والشيطان يدفعها الى الحضيض . وما ساقه الكاتب في احداث القصة ، يصور غواية امرأة لرجل ، فيتوهم انه يحبها ، وشتان الفرق بين الحب والوهم .

واذا جنبنا الحب والعبقرية ، وبرأناهما من غواية الشيطان ، ثم قلبنا في صفات الطمع والغدر والحسد والمقامرة والكهولة والدهاء والاستبداد والتعصب ، نجد فيها من الشر او الافساد او الاتلاف ما يحق ان ننسبها الى وسوسة الشياطين المعربدة في دخائل النفوس ، والتي تتطلب ارادة وعزيمة وجهاد النفس من اجل السيطرة عليها وقهرها .

ويعد ابراهيم المصري علامة بارزة في تاريخ القصة القصيرة المصرية . ولشد ما يبهرنا اخلاصه ووفاءه لهذا الفن الشائق ، حيث وقف عمره في الكتابات القصصية . وهو في كل ما كتب ، يبرز استاذا رائدا في القصة التحليلية النفسية ، ومن خلالها ، يتألق مفكرا ناضجا ، صاحب رسالة يخلص لها في المقام الاول ، وهو ما يغفر له زلاته في المعالجة الفنية ، او ترديه في صنعة متكلفة احيانا ، او رسم شخصيات نمطية .

يقول في تقديمه لقصص المجموعة : « لكل انسان شيطانه ، ورذائل الناس وشهواتهم هي شياطينهم ، تتربص بهم ، وتوسوس لهم بالشر ، وتحاول ان تجذبهم وتغريهم . فهم لو اسلسوا لها قيادهم ، واستعذبوا سحرها وسلطانها ، فهي لا بد ان تستبد بهم . فتلهب اطماعهم ، وتخنق ضمائرهم ، فيتمكن الشيطان منهم ، ويحيلهم في النهاية هم انفسهم الى شياطين » .

وفي هذه السطور تبرز الفكرة التي حفزت الكاتب وألهمته بهذه القصص الثرة العطاء . أسأل الله ان يصد عنا غواية الشيطان ، وان يمدنا بعون منه سبحانه وتعالى ، كي نحرر ارادتنا ونستنهض ضمائرنا ، وان يقينا شرور الشياطين الموسوسة في صدورنا ، وان يعمر قلوبنا ايمان بالفضائل واستهجان للنقائص .

القاهرة   حسني سيد لبيب

* * *

نغم من الخلد

ديوان شعر — للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي — ٢٠٥ صفحات

ديوان « نغم من الخلد » هو الديوان الرابع للشاعر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، اصدرته رابطة الادب الحديث بالقاهرة في مائتي صفحة وخمس من القطع المتوسط ، يشتمل هذا الديوان على اثنتين واربعين قصيدة ، وملحمتين شعريتين ، اولاهما بعنوان : « ملحمة النشيد » وثانيتهما بعنوان « زاهد يحترق في النور » .

والشاعر يلتزم في تلك القصائد جميعها بالوزن والقافية ، ما عدا ملحمتيه السابقتين التي نوع في نغمها الشعري على نحو واضح ، وكان هذا التنويع نفسه — فيما اعتقد — سببا في اطالة النفس الشعري ، وبخاصة في هذا اللون من الشعر ، شعر المطولات والملاحم ، الذي يقتضي الطول والموضوعية والخيال المسرف ، وما الى ذلك ، وكذا قصيدته التي عنوانها : « الوداع الاخير » التي يعود تاريخها — على حد تعبير الشاعر نفسه — الى اربعين عاما مضت ، وهي من الشعر المقطوعي الذي يتفق فيه الوزن من اول بيت في القصيدة الى آخر بيت فيها ، مع تغير القافية كل عدة ابيات ، وهذا التنوع الواضح في النغم الشعري سواء في ملحمتيه السابقتين ، او في قصيدته السابقة ايضا يذكرنا بصنيع شعراء مدرسة ابولو الشعرية الذين درج معظمهم على تنويع النغم في القصيدة الواحدة حتى تستوعب شتى الانفعالات والعواطف ، ومختلف النبرات والخواطر ، فالشعر الجيد — عندهم — انما يكون بارتعاشاته وهمساته ، وايحاءاته وايماءاته ، وما فيه من خلجات الافئدة ، ونبضات القلوب ، ووحي العاطفة ، وتحفز الشعور والوجدان .

وقارىء هذا الديوان يحس بالاسلامية النقية ، والايمانية الواضحة تتدفق في جل قصائده ، وتترقرق بين ادواحه وخمائله ، وبخاصة في قصائده : (يا عيد) و (موكب علوي) و (انسان القرآن) و (انسان الاسلام العظيم) و (يا دار حبي) وغيرها .

وهو في قصيدته الاخيرة يوهمنا بانه انما جعلها في بكاء دار احبابه ، والتفجع على مفارقته لها ، ونايه عنها ، بيد ان نظرتنا اليها لا تلبث ان تتغير سريعا كلما امعنا في القراءة بيتا بعد بيت ، اذ لم تكن دار حبه

على الحقيقة سوى ارض مكة المكرمة التي زارها ، ووصل في اثناء اقامته بين ارجائها بين ماضي الاسلام وحاضره ، وبين اسلاميته القوية وايمانيته الفوارة وتلك البقاع الطاهرة ، ومواطن الذكريات العامرة ، حيث يقول :

يا ارض مكة طبت من ارض مبا ... ركة وطال على الهوى اسعادي
فيك المنى، وبك الرؤى، ولك الهوى ... يا ارض مكة منك كان سهادي
ما ذقت يا ارض الهوى طعم الهوى ... ابدا بغيرك يا منى آمادي
انت التي اسعدتني انت التي ... بهواك كل هواك كان جهادي
في الكعبة الشماء والحرم الامي ... ن وزمزم والحجر طال رقادي
والى الصفا والمروة البيضاء وال ... حجر الاشم ججبت في اعيادي
والركن يبسم والمقام منور ... والحشد والحجاج كالابعاد
ان كان يحسدني الحسود فقد تضا ... عف في هوى دار الهوى حسادي
ودعهتا وبقلبي المكلوم نا ... ر كاللظى شبت بلا ايقاد

هذه العاطفة الحارة التي يحسها القارىء وهي تتدفق في ابيات القصيدة يستعين الشاعر في سبيل ابرازها بذلك الاسلوب المتدفق الفوار في غير انقطاع حين يقول :

فيك المنى، وبك الرؤى، ولك الهوى ... يا ارض مكة منك كان سهادي
انت التي اسعدتني انت التي ... بهواك كل هواك كان جهادي

ثم بذلك الحشد الهائل من الكلمات التي تشير الى اروع ما على ارض الحرم المبارك من مشاهد ومزارات ، لها قداستها ومنزلتها في نفوس المسلمين في شتى البقاع من امثال : (الكعبة) (الحرم) (زمزم) (الحجر) (الصفا والمروة) (الركن) (المقام) (البيت الحرام) .

وهو حين يذكرها انما يجد في هذا الذكر لذاذته ، ومنى نفسه وخاطره ، فقلبه ينبض بحبها ، ولسانه يترجم عن جليل قدرها ، وعواطفه مشدودة دوما اليها ، حتى انه ليتمنى ان يقضي البقية الباقية من عمره بين افيائها :

يا ليت ايامي هناك وليتني ... في ارض احلامي ودار تلادي

ذلك لانها على حد قول الشاعر :

كل السنا من نورها ، كل السنا ... في قربها ، كل الهوى بفؤادي

وفي نهاية القصيدة يشتعل قلبه حماسة وتضج روحه وفاء لرسول الاسلام العظيم ، نحس ذلك في قوله :

قدس من الاقداس في دار الهوى ... نعمت به روحي وطاب فؤادي
وشريعة من احمد ومحمد ... صلى عليه الله في الآباد
صلى عليه الله في الآحاد ... صلى عليه الله في الاشهاد
صلى عليه الله اكرم مرسل ... سمت الحياة به وعز الوادي

والشاعر في جل قصائد الديوان يمزج بين الروح الدينية والنزعة الوطنية الخالصة ، وهو في ربطه بين الاتجاهين ، ومزجه بين الفرضين لا يتورط في عيب يزري بقيمة شعره ، او يغض من شانه ، فلا فجوات ظاهرة ، ولا انقطاع فجائي في روحه الشاعرة ، بل اتصال والتحام ، وتواؤم واتزان ، ففي قصيدته : (انسان القرآن) المتشحة بثوب خالص من الشفافية الدينية ، والمتزرة بغلالة رقيقة من الايمانية القوية يقول :

يا ليلة البعث الجديد تحدثي ... عن كل ماض في العلا لم يهزم
طويت صحائفه وغاب صباحه ... ومضت مفاخره بطول تندم
وتحدثي يا ليلتي عن حاضر ... بالهون بالالم المضاعف مفعم
والمسجد الاقصى هناك وقدسنا ... باتا بمأدبة اللئام اللوم
ونقيم نحن على الشجا وكاننا ... نحيا ونحن بأرضنا بجهنم
لا لن ننام عن النضال عن الكفاح ... عن التراث وكل فخر المسلم
ولسوف نشعلها لظى متاججا ... ونقول للبطل المدجج اقدم
قومي الالى استولوا على الدهر فتى ... ومشوا الى الآمال فوق الانجم

وبامكاننا ان نعثر على انماط اخرى من هذا الصنيع الفذ في قصائده : (الى عرفات) و (امم تطوى) وغيرهما ، بل ان هذا الصنيع نفسه يتعدى قصائده المطبوعة بطابع الدين ، او التي تظهر عليها مسحة من التصوف الى قصائده الرائية الباكية ، التي لا يرثي فيها صديقا ولى ، ولا يبكي فيها خلا وفيا ودع الدنيا ، وانما يبكي فيها جده وحظه ، ويومه وامسه ، ونهاره وليله ، ففي قصيدته : (سراب) التي تكتنفها روح عالية من الرومانطيقية المحلقة المبدعة يقول :

وي لأمسي ولأيامي وي ... ولليلي ونهاري العبقري
المنى كل المنى قد ذهبت ... وتلاشت بددا من راحتي
وبقايا الحلم كانت بيدي ... اين ما كان قريبا بيدي
اين امس الصفو ولى ومضى ... ثم ابقى لي الاسى في وجنتي
والرؤى اضحت خيالا ودجى ... بعد ما كانت سنى في ناظري
وسراب كاذب يخدعني ... كلما سرت ويغشى ناظري

تجربة وجدانية لا احسبها الا صادقة ، تجربة حية نابضة ، عاشت في نفس الشاعر ، وغشيت روحه ، واستقرت في وجدانه ، وطفت على احاسيسه ومشاعره ، وفجاة طفت على سطح شاعريته ، بعد ان سبحت طويلا في اعماقه المثخنة بالجراح ، المفعمة بالآلام فكانت تلك الابيات وغيرها ترجمة صادقة عنها ، وبيانا واعيا لكل ما يكتنفها ، ويجلل جوانبها من شعور واحساس .

بيد انه وهو في قمة الانفعال الكآبي ، والاسى الشاجن يعود الى ماضي امته ، امة الاسلام العريقة فيعدد صورا من امجادها الذاوية وآمالها المحطومة ، واحلامها المضيعة ، ثم يرسل اناته الخالصة ، وتوجعاته الآلمة حين قال :

يا لماضي امتي اين مضى ... اين ولى ذلك الماضي الزكي ؟

ويفيق الشاعر على حقيقة هذا العصر ، وما تنطوي عليه سرائر اهله من تفريط في الدين ، وتضييع لكتاب الله ، وهي حقيقة مرة بلا شك لذا اخذت الابيات تنساب من جديد في بحر لجى من المآسي والاحزان والهموم والاشجان ، وهو نفس البحر الذي سبحت فيه ابيات القصيدة طويلا ، ثم كانت اجابته على السؤال الذي طرحه آنفا :

حطمته امتي حين رمت ... بكتاب الله بالنور السني

وفي قمة الياس الذي سيطر على روحه من كل اصلاح تنتظره الامة يعود الى الشاعر الامل من جديد ، ويعبث بذهنه وخاطره نور يلوح من بعيد في غضون المستقبل الزاهر الذي تنتظره امة الاسلام التي لا تقهر ولا تذل ، ولا تهان ولا تضام :

امتي لا تياسي لا تياسي ... معك العزة من وحي نبي
ومع اليوم غد يصنعه الـ ... ـله بالدين وبالهدى السوي

وتطغى الروح الوطنية التي خصها بعدة قصائد من بينها : (وطن الخلد) و (انتصار الشعب) و (شهيد العروبة) و (هي الاحلام) و (الى الشباب) وغيرها ، تطغى هذه الروح على باقي قصائد الديوان على نحو واضح اكيد .

والديوان ـ بحق ـ يتحول في جانب كبير منه الى سجل حافل بالمكرمات والذكريات الاسلامية الخالدة ، والنماذج الوطنية الفارهة ، التي ترفد الشاعر فيها ثقافة عالية منوعة الروافد ، ولا غرو فالدكتور الشاعر او الشاعر الدكتور مكتبة عامرة متنقلة ، وهي تشبيه اسمح لنفسي باثباته في هذا المقام ، يشهد على ذلك اعماله التي تراوحت بين التاليف والشرح والتحقيق ، والاشراف على العديد من الرسائل الجامعية ، وغير ذلك .

اقرأ له مثلا قصيدة (يا عيد) او قصيدته (صوت من التاريخ) او غيرهما من قصائد هذا الديوان من امثال : (امم تطوى) و (دارها الشمس) لتحس بأن الشاعر قد تحول فيها جميعها الى موسوعة ضخمة ترفد القارىء بمدد لا ينقطع من الامجاد الاسلامية الذاوية ، والمفاخر العربية المطوية في سجل الزمن ، والمكفورة في تربة الايام والدهور .

والشاعر فوق هذا يحسن استخدام الصورة في شعره ، وهو لا يقنع في ذلك بالواقع المحس كان تاتي صورته صورة مكرورة لنظيرتها في الحياة ، ولكنه يضفي عليها من رهيف حسه ، وصادق عاطفته ما يجعلها

جديرة بالبقاء والخلود ، ففي قصيدته (الحلم الكبير) يترجم عن اسمى معاني الحب والوفاء للبلد الحرام مكة ام القرى ، بعد ان شارفت رحلته اليها على الانتهاء حين قال :

ولمت اثوابي وعدت بعبرتي   والدمع والاحزان تملأ رحلنا
ونظرت والنور المشعشع رائدي   ويغيب حينا ثم يبدو خلفنا
وتسير بي سيارة مذعورة   مثلي اكفكف بالتعلل شجوننا
تعسا لها وكأن صوت زئيرها   نعب الغراب الشؤم او تعسا لنا
وتصدني قمم الجبال وانثني   بيدي على كبدي وامسح جرحنا
واقول : يا للدهر فرق بيننا   وغدت ليالي الوصل تندب حظنا
وانا الجريح وعادت الايام تق   طع بالفراق وبالتشتت شملنا
واطل الدمع الهتون وصورة   الماضي الجميل.. وآه من هذا الضنا

هذه الصورة الكاملة فوق ما اضفاه عليها الشاعر من رهيف حسه وصادق عاطفته يحشد لها جملة كبيرة من الالفاظ ، التي تعين على اعطاء الصورة حجمها الطبيعي ، وابعادها الحقيقية التي ارادها لها من امثال : (عبرة) (دمع) (الاحزان) (مذعورة) (اكفكف شجوننا) (تعسا لها) (نعب الغراب الشؤم) (امسح جرحنا) (فرق بيننا) (الدمع الهتون) الخ ...

ثم يوازن بين تلك السيارة المذعورة وبين نفسه التي نكأها الدهر بالفراق ، وما جره من جراح وآلام تارة ، وبينها وبين الغراب الناعق الذي يضرب به القوم المثل في الشؤم وسوء الطالع تارة اخرى ، وهي مقابلة ما اظن الشاعر قد افتعلها ، ثم دسها في شعره ، وجعلها احدى مكونات صورته عبثا ، وانما هي في الحقيقة وليدة احساس صادق ، وعاطفة قوية جياشة ، وانفعال واضح اكيد فجره في نفسه ، ثم بين السطور التي نقل من خلالها تجربته ما كان يحس به من مرارة الرحيل وألم الوداع .

ويغرق الشاعر في احزانه واشجانه في بعض قصائد الديوان ، ويترجم عما يلاقيه من معاناة صحيحة ، نابعة عن مجاهدته للحياة ، ومجاهدة الحياة له ، فالحياة التي قد يكون لها وجهها المشرق في بعض الاوقات ، لا تلبث ان تتحول في غيرها الى مخلوق له ألف وجه عابس ، يعلوها الوجوم ، وهنا يكون الانفعال وتشتد وقدة العاطفة في نفس الشاعر الذي يبلي في مجالدة الحياة ، ومجابهة الزمن ، وتحدي رياح العدم ، فيكون الصدق وروعة الاداء .

يبدو ان شاعرنا في عراك دائم مع الحياة ، ينتصر عليها مرة وتنتصر عليه مرات ، وهكذا شان الحياة مع الناس ، ان هذه المعركة الحامية المتصلة في نفسه على غير انقطاع مع الحياة ينطبع اثرها على نفسه ، ومن هنا كانت قصائده السابحة في اجواء خالصة من الرومانطيقية المحلقة المبدعة ، ان البسمات عنده تتحول الى عبرات تعصر اعماقه ، وتهز وجدانه وخافقه :

بسماتي عبرات عصرت   كل اعماقي وهزت خافقي

وان الغيد لينفرن منه بعد ان رأين الشيب يزحف نحو هامته ويغشى عارضه ولمته ، ولهذا يرى نفسه عزيبا في دنيا المغاني والغواني والمنى ، حتى الطيف يجنو به كالمال ، ويهجره في غير وصال ، نطالع هذه المعاني وغيرها في قوله :

نفر الغيد لرأي الشيب في   هامتي في لمتي في عارضي
ما امر البين كم اشقى به   يا لزمان الغادر الحر الشقي
يا اخلاء شبابي والصبا   انا بعد الوصل بالناي قصي
المغاني والغواني والمنى   انا منهن غريب اجنبي
واجتواني الطيف حتى الطيف يه   جرني كالمال يا لي من شجي

صورة حزينة راثية ، وواقع أليم مر ، لا يقل عنها في صداها القابض ، ووقعها الآلم ، ونبضها الحزين قصيدته (اين الصدى ؟) التي يقول فيها :

لا تقل لي : اين الصدى   كل احلامك عادت سدى
ومع اليوم كرهت الفدا   ذهبت كل المنى بددا

وتستمر ابياته على هذا النمط الشاجن الساهم ، والنحو الحزين الراثي حتى انه ليتمنى انه لو كان جمادا ، او زبدا على امواج اليم ، أو موعدا حلوا على فم العذارى ، او بلبلا غردا على الدوح ، او قطرات حلوة من الندى تترقرق على الزهر في رعشة عذرية في وقت السحر ، ثم يقول :

لا تقل لي لم هذا ؟ فا   نى من الناس نفضت اليدا
وكأني آه في قمقم   وعلي الباب قد وصدا
يا اخي تلك الشجون تعي   ش وتحيا بيننا ابدا
قد تحداني الزمان وما   يصنع العاجز طول المدى

وفجأة يعاوده الامل الذي كان قد افتقده — على ما يبدو — في زحام الايام والليالي ، فتنفرج اسارير وجهه ، ويزايله العبوس فيقول :

ربما تأتي الليالي بما   بهر الحلم به الامدا
ليس في الدنيا محال وما   يعجز الساعة قد يأتي غدا

هكذا يطوف بنا الشاعر في آفاق نفسه المبهمة ، ويسري بنا في اغوارها الملتوية ، ويضرب على كل وتر آس حزين ، ويطيف بأذهاننا صورا شتى من الهموم الثقال ، والمآسي العظام ، ثم يفجؤنا في النهاية بتلك النبرة الآملة ، والهمسة الحلوة الواعدة ، فخفف عنا كثيرا وقع الهموم ، وازال عنا ركاما هائلا من الاحزان .

ويلفت نظرنا في الديوان قصائده الكثيرة التي كانت تقوم عنده مقام الرسائل الاخوانية ، او الهدايا الغالية السنية ، يزجيها في امتنان عظيم الى اصدقائه وخلانه في مصر ، وفي غيرها من بلاد العروبة والاسلام ، وهي وان اتسمت بطابع الشاعر الشخصي ، لانها في الحقيقة قطعة من حياته ، ونبضة قوية من نبضاته ، الا انها لم تخل من لمسة شاعرة في كثير من الاحيان ففي قصيدته (بقايا حلم) التي اهداها الى الاديب السعودي الكبير عبد العزيز الرفاعي نطالع له هذه الابيات التي توج بها قصيدته :

امسيات الخميس طبت وطابت   في الليالي ليلاتك الخالدات
وكأن الشتاء منك ربيع   والربيع الزهور والبسمات
انا لي فيك ساعة من صفاء   يعذب السعي بعدها والسبات
واقول الغداة : لا قدم الص   يف ولا جاءتنا له ليلات
انقل الخطو فيه على الشو   ك وشمل الاحباب فيه شتات
وغدى آه كله لفح صيف   فاتني الحب والاحباء فاتوا
وستبقى لهم على الدهر ذكرى   اين منها الافراح والذكريات ؟

الى ان قال :

ايها القلب يا فؤادي المعنى   حسبك الشجر المر والعبرات
وجفاء الاحباب والقيل والقا   ل وعذال في الهوى ووشاة
فعلى ايام الوصال صلاة   وعلى ايام الهوى الرحمات
هي في قلبي سلوة وحنين   وهي في سمعي اللحن والنغمات

وهذا الوفاء الذي يتغلغل في مسارب تلك الابيات ، وينبث بين ارجائها يجعلنا نشد على يديه ، ونطلب منه المزيد من القصائد والاشعار التي نرجو لها ان تتحول الى رافد جديد يصب في نهر العربية الخالد ، فيزداد بذلك للعربية خيرها وعطاؤها في المستقبل الواعد القريب .

جامعة الازهر — اسيوط   محمد سعد حسن نشوان

١ ـ صلاة بدائية

للشاعر محفوظ داود سلمان ـ منشورات وزارة الاعلام العراقية
٩٦ صفحة ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد

دأبت وزارة الاعلام العراقية على نشر المزيد من دواوين الشعراء في العراق والبلاد العربية على حد سواء فكان جهدا مشكورا وعملا مباركا وفر على اكثرهم تكاليف الطبع والتوزيع الى جانب اغناء المكتبة العربية بالدواوين الشعرية الحديثة ، ومن هذه الاصدارات في سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث ديوان الشاعر محفوظ داود سلمان والموسوم بـ « صلاة بدائية » .

يتألف الديوان من ثلاثين قصيدة كتبت خلال الستينات الا قصيدة واحدة « الرؤيا » فانها كتبت عام ١٩٧٥ .. كل القصائد عمودية الايقاع تظهر في بعضها انفاس الياس ابو شبكة في « افاعي الفردوس » استمع اليه يقول في قصيدته « حواء في حانة » :

لم تزل حواء فيها وهج ... من دم الاثم وجرح في الضمير
لم يزل في دمها نبع اللظى ... يتجلى افعوانا في سرير
وبعينيها جذى شيطانها ... يلهب النيران في الطين الحقير

وسدوم تبقى قاسما مشتركا بين الشاعرين الا ان شاعرنا يغرق في اعماق مأساوية تلون قصائده باصباغ حزينة كأنها تراتيم صوفية تتجرد عن كل معطيات العصر ولعلها انعكاسات الواقع الذي مر به الشاعر آنذاك .. وللشاعر قصائد قومية ووطنية امثال : الفجر العربي . وصوت من قبر عربي في فلسطين . وصوت من عدن .

٢ ـ صفحات من كتاب الحياة

شعر صالح مهدي عماش ـ منشورات وزارة الاعلام العراقية
١٦٠ صفحة ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد

يضم الديوان اثنين وعشرين قصيدة تتسم بحرارة الايمان في سبيل تحقيق الاهداف القومية في المستقبل الزاهر وصدق التجربة والانفعال الذاتي والحماس المتدفق على غرار قصائد محمود سامي البارودي لان كلا الرجلين كان ضابطا تتغلب عليه الروح الحربية والنزعة العسكرية يؤمن ايمانا مطلقا بالجحفل الجرار والمدفع الهدار والطعن والاقدام يقول :

آمنت بالجحفل الجرار يلهبه ... عزم اطاح باهل الغدر والكذب
آمنت بالمدفع الهدار آيته ... صوت يفرق بين الجد واللعب
آمنت بالمدفع المغوار يسنده ... نسر يصول وكم في النسر من رهب
آمنت بالشعب في نيل الحقوق كما ... آمنت بالطعن والاقدام والحرب

ويثور الشاعر على واقع التجزئة والاستلاب :

هل المثنى ثوى والسيف ممتنع ... وهل علي هوى في كوفة الغدر
لا ذو الفقار يرد الجيش منكسرا ... ولا البويب يناجيها بنو مضر

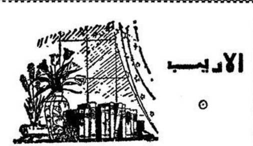
وشاعرنا ابو هدى يحدوه الوفاء الى توديع عميد السلك الدبلوماسي فيقول :

أتدري ان ذكرك سوف يبقى
وان الشوق اليك لن يوقى
فاني لن احاول ما تبقى
من الايام ان انساك حقا

ويتذكر الشاعر فتاة (سلوفتسكي دوم) في براغ فتزول عنه نزعته العسكرية ويتحول الى ملاك رحمة .

وينتهي الديوان فشكرا لوزارة الاعلام العراقية ومن الله التوفيق .

الكوت ـ العراق — **كاظم محمد حسين**



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٢٥ ليرة لبنانية

●

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

●

في الخارج العربي : ٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار : ٢٥ دولارا بالبريد العادي
٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج ١٠٠ ل.ل. او ٥٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

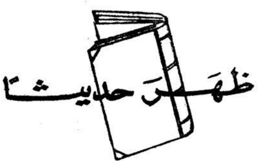
الادارة : ٢٢٣٨١٩ — Dir. 223819
المنزل : ٢٢٥١٣٩ — Dle. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨ـ١١
بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب



● تاريخ القضاء الاداري ونظام مجلس الدولة في سورية ، نصوص دستورية وادارية غير منشورة — تأليف الدكتور عدنان الخطيب — ٢٧٢ صفحة — حجم كبير — مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية — المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالقاهرة — دار نافع للطباعة (القاهرة) .

● ترنيمة الامل — شعر — سعيد الصقلاوي — الرسوم الداخلية والغلاف بريشة الشاعر — ١٦٠ صفحة — منشورات وزارة الاعلام والثقافة بمسقط سلطنة عمان — المطبعة الحكومية بمسقط .

● العالم يبدأ من هنا — مجموعة قصص — تأليف مالك عزام — مصمم الغلاف عزيز اسماعيل — ٩٦ صفحة — مطبعة الرازي (دمشق) .

● عودة الفيضان — شعر — عبد السلام هاشم حافظ — ١٣٦ صفحة — مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .

● ستائر الهودج — نثر وشعر — تأليف شفيق معلوف — خطوط العناوين لجان نخله — ١٤٤ صفحة — (صدر في سان باولو بالبرازيل) .

● عنب من اليمن — مجموعة شعرية — علي محمد لقمان — ١٤٤ صفحة — دار القومية العربية للطباعة بالقاهرة .

● ١٧ قصة قصيرة لابراهيم العبسي وابراهيم الخطيب واحمد عبد الحق واحمد عودة وانور ابو مغلي وحسن ابو لبه وخليل السواحري وسالم النحاس وسعادة ابو عراق وعدنان علي خالد ومحمد ابو صوفه ومحمد خروب ومصطفى صالح ووليم هلسه ويوسف الغزو ويوسف حمزه ويوسف يوسف — مصمم الغلاف يوسف الحوراني — ١١٢ صفحة — منشورات رابطة الكتاب الاردنيين — المطبعة الاقتصادية في عمان .

● قصائد دامية الحرف بيضاء الامل : من اجل لبنان — شعر — عبدالله العلايلي نائب رئيس الاكاديمية اللبنانية — ٧٢ صفحة — حجم كبير — مؤسسة أ. بدران وشركاه — مطابع أ. بدران وشركاه ببيروت .

● هل تذكرين ؟ — شعر — الدكتور باقر سماكة — ١٠٤ صفحات — خط هذا الديوان الفنان كريم حسين — مطبعة اوفست الوسام ببغداد .

● الينابيع — شعر — محمد بن علي السنوسي — ١١٢ صفحة — حجم كبير — مطبوعات نادي جيزان الادبي — شركة المدينة للطباعة والنشر في جدة السعودية .

● على الهامش — تأليف هلال ناجي — ٢٧٢ صفحة — منشورات اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين — دار الحرية للطباعة ببغداد .

● وجه في مرآة الشمس — شعر — خالد الخزرجي — مصمم الغلاف صباح التميمي — ٨٠ صفحة — ساعدت نقابة المعلمين العراقية على طبعه — مطبعة الاجيال (بغداد) .

● شعر ابن طباطبا العلوي — تحقيق وتقديم جابر الخاقاني — ١٨٢ صفحة — منشورات اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين — دار الحرية للطباعة ببغداد .

● الخلافة في العصر الاموي : القابها . عقدها . شروطها . طرقها علاماتها . خططها الدينية . وظائفها : ولاتها ، دواوينها ، جندها ، راتبها وبذخها ، آراء الفرق فيها — تأليف ثريا ملحس — ٦٨ صفحة — حجم كبير — صدر في بيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الخلفاء الامويون : اعمالهم ، اهم الحوادث ، اهم الوفيات ، ولاتهم — تأليف ثريا ملحس — ٢٨ صفحة — حجم كبير — صدر في بيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ايليا ابو ماضي : دراسات عنه واشعاره المجهولة — تأليف جورج ديمتري سليم — ٣٠٨ صفحات — حجم كبير — منشورات دار المعارف بمصر — سلسلة مكتبة الدراسات الادبية رقم ٧٠ — مطابع دار المعارف بالقاهرة .

● زينة — رواية — تأليف مهدي النجار — ٦٤ صفحة — منشورات مجلة الثقافة ببغداد — مطبعة التضامن ببغداد .

● مواقف مع الصحافة العربية — تأليف ياسر الفهد — صمم الغلاف ابو المهتد جهاد عساف — ٨٤ صفحة — حجم كبير — مطبعة خالد بن الوليد (؟) — (صدر في سورية) .

● جعفر الخليلي والقصة العراقية الحديثة — كتبها بالانجليزية جون توماس هامل ونال بها درجة الدكتوراه من جامعة مشيغن — قام بترجمتها : وديع فلسطين والدكتور صفاء خلوصي — قدم لها محمد عبد الغني حسن — ٣٢٠ صفحة — حجم كبير — الدار العربية للطباعة ببغداد .

● الآثار الخطية في المكتبة القادرية في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني — تأليف الدكتور عماد عبد السلام رؤوف — الجزء الثاني — ٥٦٤ صفحة — حجم كبير — دار الرسالة للطباعة ببغداد .

● ابو هريرة وكوجكا — قصة مدينتين — تأليف ذو النون ايوب — ١٧٨ صفحة — كتب بخط اليد — صدر في فيينا النمسا .

● انا .. وانت وقوس قزح — مجموعة شعرية — نهاد رضا — الرسوم لسحر ارناؤوط — ١١٢ صفحة — مطبعة دار الحياة بدمشق .

● البعد اللامنظور — مجموعة شعرية — نهاد رضا — الرسوم لسحر ارناؤوط — ١١٠ صفحات — مطبعة دار الحياة بدمشق .

● الباهرة — رواية — تأليف املي نصرالله — الغلاف لرضوان الشهال — الرسوم الداخلية لمنى نصرالله — ١٩٢ صفحة — منشورات مؤسسة نوفل بيروت — طبع في دار غندور (بيروت) .

● الابيض والاسود وقصص اخرى — تأليف جمعه محمد جمعه — ١٢٨ صفحة — مطبعة الجبلاوي (القاهرة) .

● ديوجين الحكيم — مسرحية شعرية في اربعة فصول — تأليف عدنان مردم بك — ١٤٠ صفحة — منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت (لم يذكر اسم المطبعة) .

● احمد بن الجزار — تأليف رشيد الذوادي — ٤٠ صفحة — سلسلة عظماء بلادي — منشورات دار النجاح للطباعة والنشر والتوزيع في تونس — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● محمد العربي زروق — تأليف رشيد الذوادي — ٤٠ صفحة — سلسلة عظماء بلادي — منشورات دار النجاح للطباعة والنشر والتوزيع في تونس — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● السقوط في الليل — مجموعة شعرية — حسين علي محمد — الغلاف والرسوم ليوسف غراب — ٤٠ صفحة — ساعد اتحاد الكتاب العرب بدمشق على طبعها بمطابع روتا برنت للطباعة بالقاهرة .